

قصص من أزيموف

تأليف: إيزاك أزيموف
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يذخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

الاسم ذو رنين روسى واضح ، وهذا صحيح من ناحية المولد ، لكن الرجل أمريكى الجنسية . ترى صورته بتلك السوالف العملاقة على جانبى الرأس فتشعر أنه واحد من علماء عصرى التنوير والعقل . هذا هو (إيزاك أزيموف Isaac Asimov) .. اسم يحظى باحترام خاص فى أدب الخيال العلمى وعالم البحث العلمى كذلك .. ليست هذه المرة الأولى التى نقابل فيها عالمًا يهوى كتابة الخيال العلمى .

(أزيموف) كاتب خيال علمى يعتبر هو و(هاينلاين Heinlein) و(آرثر كلارك Clarke) الزوايا الثلاث لمثلث أدب الخيال العلمى الراقي .. هناك - طبعًا - كتاب بالغو الأهمية خارج الولايات المتحدة ، مثل الأسطورة البولندية

(ستانسلاف ليم Stanislaw Lem) سأحاول تقديمهم بمجرد العثور على ترجمة إنجليزية مناسبة لأعمالهم.

يرى (أزيموف) أن أفضل طريقة لنطق اسمه بشكل صحيح هى أن تقرأ عبارة (Has Him Off) مع تجاهل حروف الـ H . وهذا بسبب أن أباه لم يكن يعرف الإنجليزية عندما دون اسمه ، فجاء حرف Z خطأ . بل إنه كتب قصة قصيرة تحمل عنوان .. « انطق اسمى بحرف السين .. » ! كما ترى نحن نكرر الخطأ الشائع ذاته هنا!

ولد الرجل لأسرة يهودية فى (روسيا) عام ١٩٢٠ . وفى العام ١٩٢٣ هاجر أبواه إلى الولايات المتحدة ، وأقاما عددًا من متاجر الحلوى فى حى (بروكلين) . وفى هذه المتاجر وجد (أزيموف) تلك المجلات السحرية التى تتحدث عن الخيال العلمى ، فتحمس لهذا النوع من الأدب وكتب أول قصة له عام ١٩٣٩ .

نشبت الحرب العالمية الثانية فعمل باحثًا كيميائيًّا أثناءها ، وفى العلم ١٩٤٨ نال درجة الدكتوراه فى الكيمياء الحيوية . ثم التحق بهيئة التدريس فى جامعة (بوسطون) وتفرغ للكتابة عام ١٩٥٨ ، لكنه نال درجة أستاذ عام ١٩٧٩. وفى العلم ١٩٧٠

عاد إلى مانهاتن ليعاود الكتابة فى مواضيع عدة ، وقد توفى فى (نيويورك) عام ١٩٩٢ بسبب داء الإيدز الوبيل الذى أصابه أثناء عملية نقل دم فى عام ١٩٨٣

لا أحد يعرف بالضبط عدد الكتب التى كتبها الرجل ، فقد فشلت كل محاولات تتبع كتاباته ، لكنها بالتأكيد تربو على الخمسمائة . لقد كان يكتب ثمانى ساعات متواصلة طيلة الأسبوع وبسرعة جهنمية ، حتى اشتهر بلقب (الآلة الكاتبة البشرية) .

نذكر من أشهر كتبه (أنا .. الروبوت) ـ وهو الفيلم الذى عرض فى مصر مؤخرًا ـ و(كهوف الصلب) و(دليل أزيموف إلى التوراة) و (قدوم الليل) و(ثلاثية التأسيس) و(رجل المائتى سنة) و(الحصاة فى السماء) و(الآلهة أنفسهم) مع سيرة ذاتية نشرت بعد وفاته هى (لقد كانت حياة طيبة) . رأى (أزيموف) فيلم (رحلة خيالية) فى مرحلة المونتاج فكتب قصة بنفس الاسم .. لكن القصة ظهرت فى الأسواق قبل عرض الفيلم بستة أشهر مما جعل الكثيرين يعتقدون أنه صاحب قصة الفيلم ، والحقيقة أنه لم يحب الفيلم قط ؛ لأنه وجده هشًا من ناحية المنطق العلمى .

قصة (رجل المائتى سنة Bicentennial Man) - تجدها مترجمة هنا - تحولت إلى فيلم شهير بطولة (روبن ويليامز) يحكى عن الروبوت الذى تم إعداده للأعمال المنزلية ، ثم بدأ يحاول أن يصير بشريًا ويحتاج هذا منه إلى مائتى عام . هذه من التيمات المحببة لدى (أزيموف) : مشاعر الروبوت .. ومن الغريب أنه - كما يقول النقاد - يجيد التعبير عن الروبوت أكثر مما يجيد التعامل مع البشر الذين يظهرهم مسطحين باردين كالثلج ، ولعل هذا من عيوب أدبه المعروفة .. والقصة من جديد تدور فى فلك (بينوكيو) الذى يتوق إلى أن يصير طفلاً من لحم ودم ، وتذكرنا بقصة (ذكاء صناعى) لـ (برايان ألديس Brian Aldiss) التى تحولت بدورها لفيلم شهير من إخراج (سبيلبرج) .

لسوف نلاحظ أن (أزيموف) فى أكثر أعماله يمقت فكرة الروبوت المؤذى التى استهلكها كتاب الخيال العلمى ، وقد وضع قوانين (الروبوتيات) الشهيرة جدًا والتى تقرؤها على الغلاف الأخير من هذا الكتيب ، واستخدمها فى أكثر من قصة.

كان غريب الأطوار كأكثر العباقرة ، فقد كان يخاف الطيران ؛ لذا لم يسافر إلا أقل القليل .. وكان يخاف الحقن

بشدة (من المؤسى أن نهايته جاءت بسبب نقل الدم فعلاً) .. كما فشل تمامًا فى السباحة وركوب الدراجات ، ولم يكن يؤمن بالديانة اليهودية لكنه كان معتزًا بأصله اليهودى على سبيل الانتماء لا أكثر . كانت علاقته بـ (آرثر كلارك) حميمة ، حيث أصر كل من الرجلين على أن الآخر هو أفضل كاتب خيال علمى فى الكون ، بينما احتفظ لنفسه بلقب ثانى أفضل كاتب !

بالنسبة للمهتمين بمعرفة ما هو أكثر عن هذا الكاتب ، يمكنهم دخول الصفحة التالية :

http:// www. asimovonline. com/ asimiov_home_page. html

فهى تحوى كل شىء عنه تقريبًا .. إنه كاتب مهم ، جدير بأن نعرف عنه أكثر.

د. أحمد خالد توفيق

عفريت طوله سنتيمتران (*)

قابلت (جورج) فى مؤتمر أدبى منذ أعوام عديدة ، وأدهشنى تعبير الطهر والصدق المرتسم على وجهه الذى هو فى منتصف العمر . كان من طراز الناس الذين تختارهم كى تعهد لهم بحافظتك ليحتفظوا بها عندما تقرر السباحة .

عرفنى من صورى التى تظهر على خلفيات رواياتى ، وحيانى وأخبرنى كم يحب قصصى مما جعلنى أكون رأيًا طيبًا عن ذكائه .

قال لى :

- « اسمى (جورج بيترنت) .. »

قلت مكررًا الاسم لأتذكره :

- « (بيترنت) .. اسم غير معتاد .. »

(★) هى القصة الوحيدة فى الكتيب التى لا تمت لأدب الخيال العلمى بصلة ، لكنها طريفة فكرهت أن أتجاهلها ..

ـ « دانمركى .. وأرستقراطى جدًا .. أنا من نسل (كـانوت) وهو ملك دانمركى غزا إنجلترا فى القرن الحادى عشر .. جدى كان ابنه .. وقد ولد (على الجانب الخطأ من البطانية) بالطبع .. »

وافقته وأنا لا أفهم ما الشىء البديهى فيما يقول.

ـ « سمى (كانوت) نسبةً لأبيه وحينما عرضوه على الملك قال : هل هذا هو وريثى ؟ فرد رجل البلاط المسئول عن الطفل : ليس بالضبط .. أمه هى الغسالة وهو ابن غير شرعى .. هكذا سماه الملك : (بيتر كانوت) .. وقد ورثت أنا هذا الاسم وإن غيره الزمن إلى (بيترنت) .. »

ـ « هل تشاركنى الغداء ؟ »

قلتها وأنا أشير إلى المطعم الفاخر القريب ، الذى لا يرتاده إلا أصحاب المحافظ المكتنزة .

قال لى :

ـ « ألا تعتقد أنه مبهرج نوعًا ؟ إن المطعم على الجانب الآخر .. »

- « كن ضيفى .. »

هنا قال :

- « لكنى إذ أفكر فى المطعم الأول من جديد أرى أن جوه منزلى مريح .. فلنذهب إليه .. »

وهكذا جلسنا هناك ، وبينما نحن نتناول الطبق الرئيس ، قال (جورج) :

- « جدى (بيتركانوت) كان له ابن سماه (سوين) .. وهو اسم دانمركى جميل .. فى العصر الحالى ينطق الاسم (سفين) .. »

- « أعرف هذا .. »

قطب (جورج) قليلاً ، وقال :

- « لا داعى لاستعراض معلوماتك أيها العجوز ... فأنا أقبل حقيقة أن لديك بعض بقايا المعلومات .. »

شعرت بالارتباك ، وقلت :

- « آسف .. »

حرك يده كأنما يغفر لى وطلب بعض الشراب ، ثم قال :

ـ « (سوين بيتركنوت) كان يحب الشابات ككل أسرته .. وكان موفقًا معهن مثلنا جميعًا . وكلما فارقته فتاة كانت تهز رأسها ، وتقول : يا له من (أرشيماج) ! هل تعرف معنى (أرشيماج archimage) ؟ »

كذبت عليه وتظاهرت بأننى لا أعرف حتى لا أستعرض معلوماتى ثانية ، فقال وهو يتنهد فى ارتياح :

ـ « الأرشيماج هو كبير السحرة .. لقد درس (سوين) الفنون الغامضة والطلاسم .. وكان بوسعك وقتها أن تجرب هذا كله ؛ لذا راح يفتش عن طريقة سحرية تجعل النساء يتصرفن بأناقة ولطف جديرين بالأنوثة ، وينبذن التنمر والسوقية .. لهذا كان بحاجة إلى عون العفاريت . وكان يعرف كيف يستدعيهم بحرق أنواع من الشجيرات الحلوة ثم ينادى تلك الأسماء التى نسيها الناس .. »

ـ « وهل كان هذا ينجح ؟ »

ـ « بالطبع كان ينجح .. لقد صارت لديه حشود من عفاريت يعملون من أجله .. كان يشكو من أن النساء فى

عصره كانت لهن عقول بغال .. وكن يقابلن كلامه عن كونه حفيد ملك بتعليقات مشينة .. فى الصيف الماضى وجدت كتاب وصفاته التى يستدعى بها العفاريت .. وجدته فى قلعة إنجليزية صارت أطلالاً ، لكنها كانت تخص أسرتى يومًا ما .. كل شىء كان فى الكتاب بإنجليزية عتيقة (الأنجلوساكسونية) كما تعلم .. »

هذه المرة لم أتحمل أكثر ، فقلت :

- « أنت تمزح .. »

نظر لى فى عجرفة ، وقال :

- « لم تظن هذا ؟ لقد جربت الوصفات بنفسى .. إنه كتاب أصيل .. »

- « وظفرت بعفريت ؟ »

- « طبعًا .. »

وأشار إلى جيب سترته.

- « هنا ؟ »

مد (جورج) يده إلى الجيب وراح يبحث .. بدا أنه يفتش عن شىء ، ثم قال فى ضيق :

ـ « لقد رحل .. لكن لا يمكنك أن تلومه .. لقد أمضى ليلة أمس معى ؛ لأنه كان مهتمًا بهذا المؤتمر .. وقد جعلته يذوق بعض الشراب بقطارة ويبدو أنه أحبه .. أحبه جدًا لأنه كاد يتشاجر مع تلك الببغاء فى البار وراح يسبها .. ثم غاب فى نوم عميق لحسن الحظ .. اليوم بدا مرهقًا فى الصباح .. ولعله ارتحل إلى بيته ليستريح .. »

هل يتوقع أن أصدق هذا كله ؟ قلت له مشاكسًا :

ـ « تريد القول إنك تحتفظ بعفريت فى جيب سترتك ؟ »

ـ « إن سرعة فهمك للأمور تثير الإعجاب .. »

ـ « وما طوله ؟ »

ـ « سنتيمتران .. »

ـ « لكن هذا يجعله صغيرًا جدًا. .. »

ـ « كما قال القدماء : عفريت صغير خير من لا عفريت على الإطلاق .. اسمه (عزازيل) ، وأعتقد أنه يعانى سخرية رفاقه لأنه حريص على أن يرينى قوته .. لكنه يرفض استعمالها ليجعلنى ثريًا .. يقول إن قواه لا تُستخدم إلا لخدمة الآخرين .. »

- « هلم يا (جورج) .. بالتأكيد ليست هذه فلسفة جهنم .. »

وضع إصبعًا على شفته ، وقال :

- « لا تقل هذا .. إنه يتكلم باحترام عن وطنه ويصفه بالتحضر .. خذ عندك قصة ابنتى الروحية (جونيبر بن)(*) .. أرى من نظرتك أنك شغوف بمعرفة القصة ، ولسوف أحكيها لك .. »

★ ★ ★

كانت (جونيير بن) طالبة واسعة العينين فى السنة الثانية من الكلية حيث وقعت القصة .. فتاة طاهرة تهوى فريق كرة السلة الذى يعج بفتية وسيمين طويلى القامة .. وكان الفتى الذى اختصته بهيامها النقى هو (لياندر تومسون) .. فارع الطول له يدان ضخمتان تلتفان بإحكام حول كرة السلة .. وكان مركز هتافها وتشجيعها عندما تجلس فى صفوف المشجعات .

(★) ابنته الروحية أى ابنته بالعماد .. ليست ابنته فعلاً إنما تم اختياره أبًا روحيًا لها أثناء عمادها .

كانت تحكى لى .. وكانت ككل الفتيات تجد فى مظهرى الطيب المعتز بالذات ما يوحى بالثقة ..

ـ « آه يا عماه ! كل ما أريده هو أن يصير أعظم لاعب سلة فى العالم ، مع بيت صغير وحديقة تمتد إلى أبعد ما يستطيع البصر .. أريد طاقمًا من الخدم .. وأن تكون ثيابى مرتبة أبجديًا حسب أيام الأسبوع .. وحسب كل شهر من العام و ... »

قاطعتها فى رقة :

ـ « يا عزيزتى ثمة خطأ فى خطتك هذه .. (لياندر) ليس لاعب سلة بارعًا لهذا الحد .. ولا يتوقع أحد أن يظفر بعقود مربحة .. »

قالت فى حزن :

ـ « هذا غير عادل .. لماذا لا يكون لاعبًا رائعًا ؟ »

ـ « لأن الكون يعمل بهذه الطريقة .. وإلا لكان بوسعك أن تبدئى بحب أفضل لاعب كرة سلة فى البلاد ، أو تحبى سمسار أسهم فى (وول ستريت) يكون على علم بأسرار المعاملات المالية ... »

ـ « بالواقع فكرت فى هذا ، لكنى أحب (لياندر) نفسه .. أحيانًا أرمقه ، وأقول لنفسى : هل المال مهم لهذه الدرجة ؟! »

فكرت في الأمر .. بعد كل شيء هناك عفريت طيب القلب فى جيبى .. بالتأكيد سوف يرغب فى مساعدة القلبين الصغيرين ..

أصغى لى (عزازيل) بعدما استدعيته باسم القوة الحقيقى .. لا .. لن أخبرك به .. ألا يمكنك أن تقدر هذه الآداب ؟ لكنه أصغى لكلامى بلا تعاطف حقيقى .. يبدو أننى جررته لعالمنا من شيء يشبه الحمام التركى عندهم ؛ لأنه كان ملتفًا بمنشفة وكان يرتجف .. فى النهاية سألنى :

- « ما هى كرة السلة ؟ هل هى كرة تشبه السلة ؟ لو كان الأمر كذلك فما هى السلة ؟ »

رحت أشرح له وهو يصغى فى اهتمام ، ثم سألنى :

- « هل يمكن أن أرى مباراة كرة سلة ؟ »

- « بالتأكيد .. هناك مباراة الليلة .. (لياندر) أعطانى تذكرة .. »

- « جميل .. نادنى عندما يحين الوقت .. أما الآن فيجب أن أنهى (الزيمجيج) .. »

أعتقد أن هذا المصطلح يعنى الحمام التركى . من الأشياء التى تضايقنى أن يهتم أحد أكثر من اللازم بأموره التافهة .. هذا يذكرنى أيها العجوز بأن الساقى يريد منك شيئًا .. أعتقد أنه يريد أن يعطيك فاتورة الحساب ، فلتأخذها منه كى أواصل قصتى.

اصطحبت العفريت إلى مباراة كرة السلة ، حيث ظل يراقبها من أعلى جيب سترتى .. لحسن الحظ أن أحدًا لم ير المشهد .. فقد كان أحمر اللون له قرنان .. لم أكن أفهم كرة السلة جيدًا لذا تركت لـ (عزازيل) أن يتابع ما يجرى أمامه ...

قال لى بعدما انتهت المباراة :

ـ « من الواضح لى بعد ما رأيته من لعب هؤلاء الأشخاص المملين الذين يتمتعون بالبلاهة والخرق ، أن هناك إثارة معينة تنجم من مرور الكرة عبر الطوق .. »

ـ « نعم .. نعم .. بالضبط .. »

ـ « عندها يصير هذا الفتى الذى تشمله بعنايتك ثريًا لو استطاع تمرير الكرة من الطوق فى كل مرة ؟ لا بد من تغيير انعكاساته وقدرات عضلاته و ... هذا ممكن .. بل هو قد تم فعلاً .. سوف يصيب (لياندر) هذا الطوق فى كل مرة يقذف فيها الكرة .. »

انتابتنى إثارة شديدة ورحت أنتظر المباراة التالية .. لم أخبر (جونيير) بشىء طبعًا .. ثم إننى أردت أن تفاجأ .. وكنت على حق .. لقد فوجئت كما فوجئت أنا ..

لقد جاء يوم المباراة أخيرًا ...

فريق كليتنا محدود البراعة (نيردسفيل تك) يلعب ضد عمالقة (كابون كولدج) والكل يتوقع أن تكون ملحمة .

رحت أراقب (لياندر) فبدا لى مرتبكًا غير قادر على إمساك الكرة .. يبدو أن انعكاساته تغيرت بحيث لم يعد قادرًا على السيطرة على شىء .. ثم بدا أنه سيطر على نفسه وألقى بالكرة فطارت فى الهواء مسافة طويلة جدًا لتسقط فى الطوق!

دوى الهتاف بينما راح (لياندر) ينظر للطوق فى حيرة كأنه يتساءل عما حدث فعلا..

تكرر الأمر مرارًا وتكرارًا .. وبدا أن أحدًا لا يرى (لياندر) وهو يصوب .. وجن جنون الجمهور تمامًا.

هنا بدأت الفوضى .. صيحات الاستهجان تصاعدت بين الجمهور من مشجعى (كابون) وتطايرت علب الشراب مع الشتائم .. ثم حدثت مشكلة أخرى هى أننى نسيت أن أخبر (عزازيل) - وحسبت هذا مفهومًا بالبديهة - أن السلتين ليستا مماثلتين .. إحداهما كانت سلة الضيف والأخرى كانت سلة المضيف .. وأن كل لاعب يصوب لسلته المناسبة ..

هكذا راح (لياندر) يصوب الكرة إلى أى السلتين أقرب له .. وقد ظل يفعل هذا برغم اعتراضات المدرب الذى أغرق

اللعاب فمه وهو يصرخ .. ووجد نفسه مضطرًا لطرده للأسف ، وبكى لأنهم اضطروه لإخراج أصابعه من حلق (ليادر) كى يتمكنوا من إخراجه من الملعب ..

أما (ليادر) فلم يعد هو نفسه مرة أخرى .. أغرق أحزانه فى الشراب .. وغرق فى الدراسة ..

برغم هذا تعلقت به (جونيير) أكثر ، وقالت :

ـ « إنه بحاجة لى ! »

وضحت بكل شىء لتتزوجه بعد التخرج ، بينما هوى هو إلى الحضيض ، وتلطخ بوصمة لايمكن محوها : دكتوراه فى الفيزياء ..

أعرف اليوم أنه يحصل على ستين ألف دولار فى العام ويدرس الفيزياء ، ويتحدثون عنه كمرشح محتمل لجائزة نوبل .

(جونيير) لا تشكو حظها العاثر لكنها مخلصة لمثلها الأعلى الذى تهاوى .. ولم تصدر منها كلمة أو حركة تدل على خيبة أملها ، لكنها لن تخدع أباها الروحى . إنها تفكر فى البطل الأوليمبى المكلل بالغار الذى لن يكون لها أبدًا .. تفكر فى بيتها الريفى الواسع الملىء بالخدم.

- « هذه هى قصتى .. »

قالها (جورج) وهو يجمع الفكة التى جلبها الساقى لى .. وأضاف :

- « لو كنت مكانك لتركت له بقشيشًا طيبًا .. »

كذا فعلت أنا بينما (جورج) يبتسم ويرحل.

لم أفكر فى الفكة التى ضاعت منى .. ما فكرت فيه هو أن (جورج) ظفر بوجبة مجانية بينما ظفرت أنا بقصة يمكن أن أحكيها على أنها من تأليفى ، فتجلب لى من المال أضعاف ثمن هذه الوجبة.

فى الواقع أزمعت أن أدعوه للعشاء من حين لآخر .

★ ★ ★

إحساس بالقوة

اعتاد (جيهان شومان) التعامل مع الرجال ذوى النفوذ فى كوكب الأرض الذى أرهقته الحروب . كان مجرد مدنى لكنه طور برامج كمبيوتر من أعلى طراز تستخدم فى الحروب ، وكان الجنرالات يصغون له .. الجنرال (وايدر) بفمه الصغير وبشرته التى لوحها الفضاء ، ورجل الكونجرس (برانت) بخديه الناعمين وعينيه الصافيتين .

أما (شومان) المتأنق طويل القامة والمبرمج من الدرجة الأولى ، فقد كان يواجههم بلا تهيب ، ويقول :

ـ « هذا يا سادة هو (مايرون أوب) .. »

قال رجل الكونجرس فى هدوء :

ـ « ذو الموهبة الخارقة الذى اكتشفته أنت بالصدفة ؟ »

وتفحص الشاب الذى يشبه رأسه الأصلع البيضة بفضول .. هنا تقلصت أصابع الشاب فى توتر ، فهو لم يقترب قط من رجل عظيم إلى هذه الدرجة من قبل . كان مجرد فنى فقير

متوسط الذكاء فشل فى اجتياز كل الاختبـارات التـى ينتقون بهـا المتميزين ، وقنـع بـأن يصـير ضمـن العمالـة غير البارعة . فقط كانت هوايته تلك هى مـا لفت نظر المبرمج العظيم له ، وجعلته يحدث كل هذه الضوضاء.

قال جنرال (وايدر) :

- « أنا أجد أن جو الغموض هذا طفولى نوعًا .. »

قال (شومان) :

- « سوف تغير رأيك خلال لحظـة .. ليس هذا بالشىء الذى نكشفه أمام وافد جديد .. (أوب) ! »

كانت هناك لهجة آمرة فى الطريقة التى ذكر بها الاسم ، لكنه كان مبرمجًا عظيمًا يتكلم مع فنى ضئيل الشأن .

- « (أوب) .. كم تساوى تسعة فى سبعة ؟ »

تردد (أوب) للحظـة وتألق الحماس فى عينيه الشاحبتين ، ثم قال :

- « ثلاثة وستين .. »

رفع رجل الكونجرس حاجبيه الكثيفين ، وقال :

ـ « هل هذا صحيح ؟ »

ـ « تأكد بنفسك يا سيدى .. »

أخرج رجل الكونجرس الكمبيوتر الصغير الخاص به ووضعه على راحة يده ، ثم ضغط الأزرار ، وقال :

ـ « هل هذه هى الموهبة التى جئتنا بها ؟ مجرد ساحر ؟ »

ـ « ليس هذا كل شىء يا سيدى .. (أوب) يحفظ بعض العمليات ويمكنه أن يجريها على الورق .. »

ـ « كمبيوتر ورقى ؟ »

ـ « لا يا سيدى .. مجرد ورقة .. هل يتكرم علينا الجنرال باقتراح رقم ؟ »

ـ « سبعة عشر .. »

ـ « والسيد رجل الكونجرس ؟ » :

ـ « ثلاثة وعشرين .. »

ـ « جميل .. اضرب هذين الرقمين يا (أوب) ، واعرض على السيدين كيف تفعلها .. »

أخرج (أوب) قلمًا صغيرًا من جيبه وقطعة ورق .. وتجعد جبينه وهو يجرى الحسابات على قطعة الورق . فطلب منه الجنرال الورقة وتأملها ، ثم قال :

ـ « يبدو هذا كأنه رقم ١٧ .. »

قال عضو الكونجرس :

ـ « نعم .. يبدو مثله .. لكن بوسع أى شخص أن ينسخ هذه الرسوم من على شاشة الكمبيوتر .. أعتقد أن بوسعى أن أرسم (١٧) أنا نفسى حتى من دون تدريب .. »

قال (شومان) ببرود :

ـ « لو سمحتما بترك (أوب) يواصل حساباته أيها السيدان .. »

واصل (أوب) العمل ويداه ترتجفان ، وفى النهاية قال :

ـ « الإجابة هى ٣٩١ »

أخرج الجنرال الكمبيوتر وأعاد الحساب ، ثم هتف :

ـ « بحق (جودفرى) هذا صحيح .. ولكن كيف ؟ »

ـ « لقد حسبها يا سيدى .. »

ـ « هراء ! الكمبيوتر شيء والورق شيء آخر .. »

راح الرجل يشرح كيف فعلها :

ـ « أولاً : ضربت سبعة في ثلاثة .. الناتج كان واحدًا وعشرين .. »

ـ « وكيف عرفت هذا ؟ »

ـ « من ملاحظاتي للكمبيوتر وجدت أن حاصل ضرب الرقمين هو دائمًا واحد وعشرون .. بعد هذا أضفت الاثنين إلى العشرين .. »

ـ « ولماذا إلى العشرين ؟ »

ـ « لا بد من هذا .. لا أعرف كيف أشرح الأمر ، لكن هذه هي الطريقة .. »

★ ★ ★

جلس رئيس الاتحاد الأرضي منهكًا في مقعده ، ورسم على وجهه الحساس ابتسامة حزينة . إن الحرب (الدنيابية) لا تمضي على ما يرام بعد بدايتها القوية ، وقد ساد الاستياء الأرض نتيجة تعثرها . ربما يشعر العدو على

كوكب (دينيب) بالشعور ذاته . والآن يسمعه عضو الكونجرس هذا الهراء .. قال للرجل :

- « الحساب دون آلة حاسبة هو تناقض مصطلحات صريح .. »

هب عضو الكونجرس يعرض عليه بعض المهارات التى تعلمها من (أوب) .. فبدأ الرئيس يهتم .

- « هل تعلّم هذا صعب ؟ »

- « احتاج منى إلى أسبوع. .. .. »

- « لا أنكر أنها لعبة مسلية لكن ما نفعها ؟ »

- « ما نفع طفل وليد يا سيدى ؟ حاليًا هى لا شىء ، لكنها تمهد الطريق يومًا ما للتحرر من الآلات .. هذه الحرب (الدنيابية) هى حرب كمبيوتر ضد آخر .. نطور نظام دفاع فيطورون أفضل منه .. نبتكر كمبيوتر فيأتون بواحد أفضل .. هذا الاتزان لن ينتهى أبدًا .. لكن لدينا الآن ما يمكن أن نتجاوزهم به .. ذكاء الإنسان سيرجح كفتنا .. المبرمج (شومان) يقول إنه لا يوجد ما يصنعه الكمبيوتر ويعجز عنه المخ البشرى .. فقط الكمبيوتر يحقق هذا فى جزء من

الثانية .. إننى أطلب دعم الإدارة لإنشاء مشروع أطلق عليه اسم (مشروع الرقم) لو سمحت لى .. يبدو أن أجهزة الكمبيوتر فى الماضى كان يصنعها الإنسان ... هذا بالطبع قبل أن يوجد الكمبيوتر الفائق الذى صنعه كمبيوتر آخر .. وعملية الضرب التى قمت بها أمامك ليست سوى تقليد لما يصنعه الكمبيوتر .. كلما حسنا من ذكاء الإنسان استطاع الحزب أن يستثمر كل المبالغ الطائلة التى ينفقها على الكمبيوتر .. »

ـ « وما الذى يضمن لى ألا يدب الخلل فى عقول البشر ؟ الكمبيوتر يعطينى ذات الإجابة فى كل مرة .. فمن يضمن أن يفعل الإنسان هذا ؟ »

ـ « لأن الكمبيوتر لم يكن موجودًا طيلة الوقت .. لقد صنع البشر السكك الحديدية والطرق من دون كمبيوتر .. »

ـ « الفنون المندثرة ! هل ستكلمنى عن الفنون المندثرة ؟ »

ـ « لست متحمسًا لها .. لكن لا ننكر أن الإنسان كان يأكل الحبوب قبل ظهور الحبوب المزروعة فى سائل hydroponics ، وبالتالى فمن الممكن أنه كان يزرع الحبوب فى التربة .. »

- « لا أعرف .. لن أصدق أن الحبوب يمكن أن تزرع فى التربة ما لم أر ذلك بعينى .. وماذا بوسعكم غير الضرب ؟ »

- « هناك القسمة .. هناك استعمال العلامة العشرية .. »

بدت الدهشة على الرئيس ، وقال :

- « علامة عشرية ! لم أنبهر كثيرًا بالضرب لكن موضوع العلامة العشرية هذا ! وماذا أيضًا ؟ »

قال (شومان) :

- « ما زال الأمر سرًا لكن يجب أن أخبرك أننا فى الطريق للحصول على مربعات الأرقام ! يقول (أوب) إنه اقترب جدًا من حل المعضلة .. وأنت رجل رياضى فلن تجد عسرًا فى فهم طريقة العمل هذه .. »

كان (أوب) يقف فى ركن المكان .. لم يعد فنيًا بالطبع ، بل صار ضمن المشروع يكسب راتبًا عاليًا ، لكن أحد هؤلاء السادة لم يعامله على قدم المساواة قط .. لم يسمحوا لأنفسهم باعتباره مثلهم وهو كذلك لم يجسر على ظن كهذا .. كان غير مرتاح معهم كما كانوا هم معه ..

قال الجنرال :

ـ « حلمنا هو سفينة بلا كمبيوتر يا سادة .. هذه سوف تكلفنا خمس وقت البناء وعشر التكلفة .. وهناك ما هو أدهى .. القذيفة البشرية !! »

سادت ضوضاء بين الجالسين ، على حين قال الجنرال :

ـ « حتى هذه اللحظة مشكلتنا هى أن القذائف محدودة الذكاء .. يجب أن يكون الكمبيوتر الذى يوجهها ضخمًا ، وهذا يؤدى لاصطدامها بوسائل الدفاع بسهولة ... حرب القذائف بلغت مداها بالنسبة لنا والعدو لحسن الحظ ... لكن التحكم بالذكاء البشرى يجعل القذائف أخف وزنًا وأذكى وأرشق حركة .. معنى هذه المزية لنا هو النصر .. كما يجب ألا ننسى شيئًا : الإنسان رخيص الثمن يمكن الاستغناء عنه أكثر من الكمبيوتر .. »

قال أكثر من هذا ، لكن الفنى (أوب) لم ينتظر .. لقد كتب فى المذكرة التى خلفها وراءه :

ـ « عندما بدأت دراسة الرياضيات التى تطلقون عليها اليوم اسم graphitics ، لم تكن إلا هواية .. وجدتها تسلية مفيدة ورياضة عقلية .. وحينما فكرتم فى (المشروع الرقمى)

فكرت فى أن الـ **graphitics** سوف تستخدم لمصلحة البشر .. لكنى أراها لن تستخدم إلا للموت والدمار .. »

ثم صوب نازع الاستقطاب البروتينى نحو نفسه وسقط ميتًا.

وقف الرجال على قبره بينما ألقيت موعظة عن عظمة اكتشافه . وخفض المبرمج (شومان) رأسه مع الآخرين لكنه لم يتأثر بكلمة . لقد أنجز الفنى عمله ولم يعد أحد يحتاج إليه . لقد ابتكر الـ **graphitics** لكنها قادرة اليوم على الاستمرار بنفسها .. إلى أن تصير القذائف البشرية ممكنة .

٩ × ٧ = ٦٣

ولا أحتاج إلى كمبيوتر كى يخبرنى بهذا .. الكمبيوتر الآن هو رأسى ..

وقد منحته هذه الفكرة إحساسًا مدهشًا بالقوة.

★ ★ ★

المتعة التى فازوا بها

حتى (مارجى) كتبت عن هذا فى مفكرتها فى تلك الليلة . فى الصفحة التى تحمل تاريخ ١٧ مايو ٢١٥٥ كتبت :

- « لقد وجد (تومى) كتابًا حقيقيًا اليوم ! »

كان كتابًا عتيقًا جدًا .. جدها حكى أنه حينما كان طفلاً أخبره أبوه أن القصص كانت تطبع على ورق .

قلبا الصفحات التى اصفرت وتجعدت .. وكان من الممتع أن تقرأ كلمات ثابتة بدلاً من الطريقة التى تتحرك بها على الشاشة . وحينما كانا يعودان للصفحة السابقة كانا يجدان ذات الكلمات كما قرأاها أول مرة .

قال (تومى) :

- « ياه .. يا للخسارة .. حينما تنتهى من الكتاب يجب أن تتخلص منه .. شاشة التلفزيون تتسع لملايين الكتب .. ولن نتخلص منها أبدًا .. »

كانت (مارجى) فى الحادية عشرة من عمرها ، ولم تر الكثير من الكتب المرئية مثل (تومى) ؛ لذا سألته :

ـ « أين وجدته ؟ »

ـ « فى بيتنا .. فى العلية .. »

قالها دون أن يرفع عينه ؛ لأنه كان يقرأ ..

ـ « وما موضوعه ؟ »

ـ « المدرسة .. »

ـ « وما الذى يمكن قوله عن المدرسة ؟ أنا أكره المدرسة .. »

كانت تكره المدرسة دومًا لكنها الآن تكرهها أكثر .. إن المعلم الآلى يعطيها الاختبار تلو الآخر ، وفى النهاية اضطرت أمها لاستدعاء مفتش المقاطعة .

كان رجلاً صغير الحجم مكتنزًا له وجه أحمر ، ولديه عدة كاملة من أدوات الاتصال . ابتسم لها وناولها تفاحة ، ثم فكك المعلم . تمنت (مارجى) ألا يستطيع إعادة تجميعه ، لكنه تمكن من ذلك بعد ساعة من العمل . عاد المعلم أسود

ضخمًا قبيحًا له شاشة كبيرة عليها تظهر الدروس . أكثر ما كانت تكرهه هو تلك الفتحة التى تدخل منها الواجبات المنزلية .. كان عليها أن تقدمها على شكل بطاقات مثقبة تعلمت استخدامها وهى فى سن السادسة ، وكان المعلم الآلى يحسب الدرجة فورًا .

قال المفتش لأمها :

- « ليس خطأ الصغيرة يا مسز (جونز) .. أعتقد أن الجزء المختص بالجغرافيا كان مسننًا أكثر من اللازم .. هذه الأشياء تحدث أحيانًا .. لقد قمت بإبطاء سرعته ليناسب مستوى عشر سنوات .. إن مستوى تحصيلها لا بأس به .. »

وربت على رأس (مارجى) فشعرت بخيبة أمل .

لقد تمنت أن يخلصوها من المعلم ، فقد أخذوا ذات مرة معلم (تومى) لمدة شهر كامل ، لأن القسم الخاص بالتاريخ قد تلف كلية.

قالت لـ (تومى) :

- « لماذا يكتب أحد عن المدرسة ؟ »

نظر لها بريبة ، وقال :

ـ « لأنها ليست كمدارسنا يا غبية .. هذه مدارس من الطراز الذى كان سائدًا منذ مئات الأعوام .. منذ قرون .. »

ونطق العبارة الأخيرة بتمهل.

ـ « حسن .. لا أعرف نوعية مدارسهم فى هذا الزمن .. لكن كان لديهم معلمون على كل حال .. »

ـ « بالطبع كان عندهم معلم . لكنه ليس بالمعلم المعتاد .. كان بشريًا ! »

ـ « بشر ! أنى لبشر أن يكون معلمًا ؟ »

ـ « حسن .. كان يحكى للتلاميذ أشياء ويكلفهم بواجب منزلى ... »

ـ « الإنسان ليس بهذا الذكاء .. »

ـ « بل هو كذلك .. أبى يعرف قدر ما يعرفه معلمى .. »

ـ « مستحيل .. »

ـ « أراهنك على ذلك .. »

لم تكن مستعدة للجدل ، فقالت :

ـ « لا أريد رجلاً غريبًا فى دارى ليعلمنى .. »

ضحك (تومى) ضحكة صارخة ، وقال :

ـ « لم يكن المعلمون يعيشون فى دارك .. كانت هناك بناية يذهب لها التلاميذ .. »

ـ « وكان التلاميذ يتعلمون الشىء ذاته جميعًا ؟ »

ـ « بالطبع .. لو كانوا فى نفس السن .. »

ـ « لكن أمى تقول إن على المعلم أن يغير طريقته لتناسب ذكاء كل تلميذ على حدة .. »

ـ « لا يهمنى هذا .. لو لم تحبى ما أقول فلا تقرئى الكتاب .. »

ـ « لم أقل هذا .. »

كانت تريد أن تقرأ عن هذه المدارس العجيبة ..

ولم يكونا قد انتهيا من نصف الكتاب ، عندما صاحت الأم :

ـ « (مارجى) ! المدرسة ! »

هتفت (مارجى) :

- « ليس بعد يا أماه .. »

- « بل الآن .. وربما كان هذا موعد (تومى) كذلك .. »

سألت (تومى) :

- « هل بوسعى أن أقرأ الكتاب معك ؟ »

- « ربما .. »

قالها وهو يبتعد والكتاب تحت إبطه .. بينما ذهبت هى إلى غرفة الدرس .. كانت بجوار غرفة نومها وكان المعلم الآلى ينتظرها . كانت نفس الساعة يوميًّا عدا السبت والأحد ؛ لأن أمها قالت لها إن الفتيات الصغيرات يتعلمن أفضل لو تعلمن فى ذات الساعة.

أضيئت الشاشة وعليها ظهرت عبارة : درس رياضيات اليوم عن جمع الكسور .. أرجو أن تدخلى واجب أمس فى الفتحة !

فعلت (ماجى) هذا وهى تتنهد . كانت تفكر فى كل المدارس العتيقة ، عندما كان جد جدها طفلاً . عندما كان

الصبية يصرخون ويلعبون فى الفناء ويعودون معًا للبيت فى نهاية اليوم . حينما كان المدرسون بشرًا والتلاميذ يتلقون المعلومات ذاتها ويمكنهم الكلام عن الواجب المنزلى معًا ..

كان المعلم الآلى يكتب على الشاشة : حينما نضيف 1/2 إلى الكسر 1/4.......

وكانت (مارجى) تفكر كيف أن التلاميذ أحبوا المدرسة حتمًا فى تلك الأيام .. كانت تفكر فى المتعة التى فازوا بها ..

★ ★ ★

رجل المائتى عام

-١-

قال (أندرو مارتين) :

ـ « شكرًا .. »

وجلس على المقعد الذى قدم له .. لم يبد شخصًا يائسًا لكنه كان كذلك فعلاً.

بالواقع لم يبد عليه أى شىء ؛ لأن وجهه كان خاويًا .. باستثناء الحزن الذى يخيل إليك أنك تراه فى عينيه . كان شعره رقيقًا أقرب للون البنى ، ووجهه كان خاليًا من الشعر .. أما ثيابه فكانت عتيقة الطراز ولها لون مخملى قرمزى.

أمامه على النضد كان يجلس الجراح ، ولوحة الاسم أمامه تحمل قائمة من الحروف والأرقام ، لم يبال بها (أندرو) . يكفى أن تناديه (دكتور) .

ـ « متى تجرى الجراحة يا دكتور ؟ »

بنعومة وبنغمة الاحترام الذى لا يتحول إلى التى يستعملها الروبوت حينما يخاطب إنسانًا .. قال الجراح :

ـ « لست موقنًا أننى أفهم يا سيدى على من ستجرى هذه الجراحة. .. »

وبدت نظرة من العناد المؤدب على وجه الجراح ، لو أن بوسع روبوت مثله صنع من الصلب الذى لا يصدأ أن يرسم على وجهه هذا التعبير أو أى تعبير آخر .

راح (أندرو مارتين) يدرس يد الروبوت اليمنى .. إذ وضعت ساكنة على المنضدة . كانت الأصابع طويلة تتخذ منحنيات فنية يسهل أن تتصور مبضعًا يوضع فيها ليصير جزءًا منها .. لا أخطاء .. لا رجفات .. كان البشر قد أعدوا روبوتات بالغة التخصص ، حتى إنه لم تعد من ضرورة للذكاء الاصطناعى ، لكن فى حالة الجراح كان الأمر يختلف طبعًا .

سأله (أندرو) :

ـ « ألم تتمن قط أن تكون رجلاً ؟ »

تردد الروبوت قليلاً ، كأنه من الصعب أن يضع السؤال فى مسارات عقله البوزيترونية ، ثم قال :

ـ « لكنى مجرد روبوت يا سيدى .. »

ـ « ألا تشعر بأن فرصتك أفضل لو صرت رجلاً ؟ »

ـ « لكنى ما كنت لأكون جراحًا أفضل يا سيدى ، ما لم أكن (روبوت) أكثر تقدمًا .. »

ـ « ألا يضايقك أننى آمرك فتمتثل لما أقول ؟ »

ـ « بل هذا يسعدنى يا سيدى أن ألبى طلباتك .. لو كانت أوامرك تؤدى إلى إيذائك أو إيذاء أى بشرى آخر فلن أطيعها .. الآن من سأجرى عليه هذه الجراحة ؟ »

ـ « على أنا .. »

ـ « .. لكن هذا مستحيل ... إنها جراحة مؤذية .. »

قال (أندرو) بهدوء :

ـ « هذا لا يهم .. »

ـ « ليس بوسعى أن أسبب الأذى لأى بشرى .. »

قال (أندرو) :

ـ « بالنسبة لإنسان هذا صحيح .. لكننى روبوت أنا الآخر ! »

★ ★ ★

-٢-

كان (أندرو مارتين) أقرب إلى الروبوت عندما تم تصنيعه فى البداية . وقد مارس عمله جيدًا فى البيت الذى جلب إليه ليؤدى الأعمال المنزلية ، فى زمن كان فيه الروبوت شيئًا نادرًا .

كان هناك أربعة فى البيت .. السيد والسيدة والآنسة والآنسة الصغيرة ... كان يعرف الأسماء لكن لم يستعملها قط .. السيد كان (جيرالد مارتين) .. رقمه كان NDR لكنه نسى؛ لأن هذا كان منذ زمن سحيق .. الآنسة الصغيرة هى أول من ناداه (أندرو) ؛ لأنها لم تستطع استعمال الحروف . الآنسة الصغيرة .. لقد عاشت تسعين عامًا وماتت منذ دهر . حاول أن يدعوها (مدام) ، لكنها رفضت ..

كان عليه أن يقوم بدور الخادم والتابع ووصيف السيدات .. وكان محبوبًا ..لقد عطلته السيدة والآنسة كثيرًا عن عمله ؛ لأنهما كانتا ترغبان فى اللعب معه !

ـ « بابا قال إنه يرغب فى أن تنظف البيت .. هذا ليس أمرًا .. لكننا نأمرك باللعب معنا .. »

كان مولعًا بهما .. وقد اعتبر هذا ولعًا ؛ لأنه لم يجد كلمة أخرى تعبر عن الأمر . فى يوم من الأيام جرب أن يصنع (دلاية) خشبية صغيرة للسيدة الصغيرة ، وقد رآها السيد وانبهر بها كثيرًا .. هكذا أحضر له فى اليوم الثانى أدوات نحت وقطعة من الخشب ، ومن هذا اليوم لم يعد عمله أن يعنى بالمائدة ، بل أن يقرأ كتالوجات الأثاث ويصنع نماذج مشابهة لما يراه.

ـ « هذه نماذج مذهلة يا (أندرو) .. »

ـ « إننى أستمتع بصنعها يا سيدى .. »

ـ « تستمتع ؟ »

ـ « إنها تجعل دوائر مخى تسرى بنعومة .. سمعتكم تستعملون كلمة (يستمتع) فى مواضع تماثل ما أشعر به .. إننى أستمتع يا سيدى .. »

★ ★ ★

-٣-

أخذ (جيرالد مارتين) (أندرو) إلى مكاتب رابطة الولايات المتحدة للروبوت والرجال الآليين. بصفته عضوًا فى الجمعية التشريعية لم يلاق متاعب فى ترتيب مقابلة مع كبير الخبراء النفسيين للروبوت. كان منصبه هذا هو ما أهله لامتلاك روبوت أصلاً فى أيام ندرة الروبوتات هذه.

لم يكن (أندرو) يفهم هذا فى وقتها، لكنه مع تراكم السنين استطاع أن يتذكر هذا المشهد ويراه فى ضوئه الصحيح.

أصغى الخبير النفسى (مرتون مانسكى) بتقطيبة تتزايد، واستطاع أكثر من مرة أن يمنع أصابعه من أن تدق على المائدة. كان مجعد الجبين لكن يمكنك أن تخمن أنه أصغر سنًا مما يبدو عليه.

قال :

- « الروبوتيات ليست فنًا مكتملاً .. لا أستطيع شرح هذا بالتفصيل، لكن المسارات البوزيترونية شديدة التعقيد، بحيث لا تتيح لنا إلا حلولاً تقريبية. لكننا لا نقبل أى تلاعب فى القوانين الثلاثة .. سوف نستبدل لك هذا الروبوت بالتأكيد .. »

قال السيد :

- « بالعكس .. موضوع فشله غير مطروح .. إنه يؤدى عمله بشكل ممتاز .. المشكلة هى أنه ينحت الخشب بشكل ممتاز ولا يكرر الشكل ذاته مرتين .. إنه يصنع فنًا .. إنه خلاق فعلاً .. »

وناوله قطعة من الخشب نحت عليها منظر ملعب فيه أولاد وبنات تم نحتهم بدقة عالية برغم صغر حجمهم ..

لم يصدق (مانسكى) ، وقال :

- « هو صنع هذا ؟ إنها الصدفة .. شىء فى مساراته .. »

- « هل يمكنك تكرار هذا العيب ؟ »

- « لا أعتقد .. لم يذكر شىء كهذا قط .. »

- « جيد .. لا يضايقنى قط أن يكون (أندرو) هو النموذج الوحيد .. »

- « لكننى أعتقد أن الشركة سترغب فى استرداد هذا الروبوت لتدرسه .. »

قال السيد ، فى ضراوة مفاجئة :

- « مستحيل ! انس الموضوع .. »

واستدار لـ (أندرو) قائلاً :

- « لنعد للبيت الآن .. »

* * *

-٤-

كانت الآنسة مشغولة بعلاقاتها العاطفية وغير موجودة فى المنزل أكثر الوقت . لكن الآنسة الصغيرة هى التى ملأت أفق (أندرو) الآن .. لم تنس قط أن أول قطعة خشب نحتها كانت لها .. وقد احتفظت بها فى سلسلة حول عنقها . وكانت تلوم أباها على التخلى عن أعمال (أندرو) .. كانت تطالبه بأن يبيعها لمن يريدها .

كانت هناك رحلة أخرى لمحامى السيد.

ـ « مـ رأيك فى هذا يا (جون) ؟ »

كان المحامى هو (جون فاينجولد) .. وكان رجلاً أشيب ذا بطن سمينة .. نظر إلى البروش الذى أعطاه إياه السيد ، وقال :

ـ « جميل .. لكننى سمعت عن الموضوع . أليس هذا نحتًا صنعه الروبوت الذى يعمل عندك ؟ »

ـ « كم تدفع ثمنًا لشىء مثل هذا يا (جون) ؟ »

ـ « لا أعرف .. لست من جامعى هذه الأشياء .. »

- « هل تصدق أنه قد عرض على ٢٥٠ دولارًا لهذا ؟ لقد صنع (أندرو) مقاعد بيعت بخمسمائة دولار .. لدى مائتا ألف دولار فى المصرف من منتجات (أندرو) .. »

- « رباه ! إنه يقودك إلى الثراء يا (جيرالد) .. »

- « نصف ثرى .. فنصف المبلغ فى حساب باسمه .. »

- « الروبوت ؟ »

- « نعم .. وأريد معرفة إن كان هذا قانونيًا .. »

بدا أن المحامى يفكر بعمق ، ثم قال :

- « أم .. لا توجد سوابق لهذا .. هل يمكنه التوقيع ؟ »

- « نعم .. يمكنه كتابة اسمه .. فهل هناك شىء آخر ؟ »

- « يمكننا أن نعد قيمًا يتعامل مع العالم الخارجى باسمه .. لكنى لا أعتقد أن هناك من سيعترض على شىء كهذا .. لو اعترض أحد فليقم دعوى .. »

- « وهل تقبل التعامل مع دعوى كهذه ؟ »

ـ « نعم .. مقابل مقدم أتعاب طبعًا .. »

ـ « كم ؟ »

ـ « شيء كهذا .. »

وأشار إلى البروش الخشبى ..

ـ « هذا عادل .. »

ضحك (فينجولد) ونظر إلى الروبوت ، وقال :

ـ « (أندرو) .. هل أنت مسرور لامتلاكك المال ؟ »

ـ « نعم يا سيدى .. »

ـ « وماذا تنوى عمله بها ؟ »

ـ « سأدفع ثمن الأشياء يا سيدى .. هكذا أوفر على السيد دفع الأثمان الباهظة .. »

★ ★ ★

-٥-

كانت الحاجة ملحة لذلك .. كانت تكلفة الإصلاح عالية ، وقد ظهرت موديلات روبوتات أحدث ، فراح السيد يتأكد من أن (أندرو) يحظى بكل تطوير جديد . كل هذا تم على حساب (أندرو) الذى أصر على هذا . فقط لم يمس أحد مساراته البوزيترونية ، كما طلب السيد.

قال له :

- « الموديلات الجديدة ليست رائعة مثلك .. إنها لا تساوى شيئًا .. لقد صارت المسارات العقلية أكثر إتقانًا .. هذه الروبوتات الجديدة لا تنحرف بل تفعل ما طلب منها فحسب .. أنا أفضلك عنها .. »

- « شكرًا يا سيدى .. »

- « هل تعرف كم مرة طلب منى (مانسكى) أن أعيدك له ؟ تسع مرات .. الآن قد تقاعد فلربما أظفر ببعض الراحة .. »

الآن قد شاخ السيد وشاب شعره ، بينما ازداد (أندرو) بهاء .. السيدة فى أوروبا ، و الآنسة صارت شاعرة فى (نيويورك) . الآنسة الصغيرة تزوجت وتقيم فى الجوار .

وحينما أنجبت ابنها ـ السيد الصغير ـ سمحت لـ (أندرو) بأن يمسك الزجاجة ويرضعه.

الآن شعر (أندرو) أن سيده وقد ظفر بحفيد لن يجد مطلبه التالى غير عادل .

ـ « سيدى .. كان كرمًا منك أن سمحت لى بإنفاق مالى كما أريد .. »

ـ « كان هذا مالك يا (أندرو) .. »

ـ « بإرادتك يا سيدى .. فما كان القانون ليمنعك من استبقائه كله لك .. »

ـ « القانون لن يغرينى بارتكاب الخطأ .. »

ـ « برغم كل الضرائب والمستقطعات ، فأنا أملك الآن ستمائة ألف دولار .. »

ـ « أعرف يا (أندرو) .. »

ـ « أرغب فى ترك هذا المبلغ لك .. »

ـ « وأنا لا أريده يا (أندرو) .. »

ـ « مقابل شيء تمنحه لى يا سيدى .. حريتى ! أنا أريد أن أبتاع حريتى يا سيدى !

★ ★ ★

-٦-

لم يكن الأمر سهلاً لأن وجه السيد احمر ، وقال :

ـ « بحق السماء ! »

ثم استدار وابتعد .

كانت الآنسة الصغيرة هى التى عادت به .. لمدة ثلاثين عامًا لم يتحرج أحد من الكلام أمام (أندرو) .. سواء تعلق به الأمر أم لا فقد كان مجرد روبوت .

ـ « أبى .. لماذا تعتبر هذه مسألة شخصية ؟ سيظل هنا .. سيظل مخلصًا لك .. كل ما يريده هو شكل لفظى .. يريد أن نعتبره حرًا .. هل هذا صعب ؟ ألم يستحق هذا ؟ لقد ظل يتكلم معى فى هذا الموضوع عدة أعوام .. »

ـ « هل فعل هذا ؟ »

ـ « نعم .. لكنه كان يؤجل فتح الموضع حتى لا يؤذيك .. وقد طلبت منه فتح الموضوع .. »

ـ « لكنه لا يعرف معنى الحرية . إنه مجرد روبوت .. »

- « أنت لا تعرفه يا أبى .. لقد قرأ كل كتاب فى المكتبة .. لا أعرف ما يدور بداخله ، لكنى لا أعرف ما يدور بداخلك أيضًا .. »

قال السيد مغضبًا :

- « القانون لن يقبل هذا .. انظر هنا ! »

وجه كلامه لـ (أندرو) .. بخشونة متعمدة فى صوته :

- « لن أحررك إلا بشكل قانونى .. لو أخذت هذا الموضوع للمحاكم فلن يرفض طلبك فحسب ، بل سينظر القانون فى أمر مالك .. سيقولون إن الروبوت ليس له الحق فى الكسب .. فهل هذا الهراء يستأهل خسران مالك ؟ »

قال (أندرو) :

- « الحرية لا تقدر بمال يا سيدى .. حتى فرصة الحرية تستحق أن أخسر مالى .. »

★ ★ ★

-٧-

يبدو أن المحكمة بدورها كانت ميالة ، لأن الحرية لا تقدر بمال ، لهذا ترى أن الروبوت لا يمكن أن ينال حريته بأى ثمن مهما عظم.

وكان ما قرره المدعى الذى يمثل هؤلاء الذين رفعوا دعوى ضد التحرر كما يلى :

ـ « لفظة (حرية) لا معنى لها حينما تطبق على روبوت .. فقط الإنسان يمكن تحريره .. »

كررها عدة مرات ببطء ويده تدق على المنضدة مع الكلمات.

طلبت الآنسة الصغيرة الحق فى الكلام نيابة عن الروبوت .

نوديت باسمها الكامل ، الذى لم يسمعه (أندرو) من قبل ..

ـ « فلتقترب (أماندا لورا مارتين تشارنى) .. »

ـ « شكرًا سعادتكم .. لست محامية ولا أعرف الطريقة المثلى للتعبير .. لكن آمل أن تصغوا للمعانى وتتجاهلوا الكلمات ..

- « فلنفهم أولاً معنى الحرية بالنسبة لـ (أندرو) . لقد مر على الأقل عشرون عامًا منذ أعطاه أى فرد من آل (مارتين) أمرًا قد لا يريحه .. برغم أن بوسعنا أن نأمره بأى شىء ؛ لأنه مجرد آلة نملكها .. لكن لماذا نفعل وهو قد خدمنا لفترة طويلة وكسب مالاً كثيرًا من أجلنا ؟ »

- « إطلاق سراحه مجرد لعب بالكلمات لكنه يعنى الكثير له .. سوف يهبه كل شىء ، ولا يكلفنا أى شىء .. »

للحظات بدا أن القاضى يدارى ابتسامة ، وقال :

- « أفهم وجهة نظرك يا سيدة (تشارنى) ، والحقيقة أنه لا توجد سابقة بهذا الصدد .. فقط هناك الفرضية القائلة بأن الإنسان فقط هو القادر على الاستمتاع بالحرية . دعينى أتكلم مع الروبوت نفسه .. »

كانت هذه أول مرة يتكلم فيها (أندرو) أمام محكمة . ويبدو أن القاضى اندهش من نبرة صوته البشرية.

- « لماذا تريد الحرية يا (أندرو) ؟ وفيم يهمك هذا ؟ »

سأله (أندرو) :

ـ « هل ترغب فى أن تكون عبدًا سعادتكم ؟ »

ـ « لكنك لست عبدًا . فأى شىء تمنحك إياه الحرية ؟ »

ـ « لقد قيل هنا إن الإنسان فقط هو من يستطيع أن يكون حرًا .. أنا أقول إن من يرغب فى الحرية فقط هو من يستطيع أن يكون حرًا .. وأنا أرغب سعادتكم .. »

كانت هذه العبارة هى ما جعل القاضى يصدر حكمه :

ـ « المحكمة ترى أن الحرية حق لمن يملك القدرات العقلية التى تتيح له فهم معناها .. »



-٨-

ظل السيد متضايقًا وقد أشعر صوته الخشن (أندرو) بأنه على وشك الانفجار .

- « لا أريد مالك اللعين .. سآخذه فقط لو أنك لم تستطع الشعور بالحرية بأية طريقة أخرى .. من الآن بوسعك اختيار ما تفعله .. لن أعطيك أوامر فيما عدا هذا : افعل ما تحب .. لكنى ما زلت مسئولاً عنك .. هذا جزء من حكم المحكمة .. أتمنى أن تفهم هذا .. »

قال (أندرو) :

- « أليس البشر مقيدين بالقانون يا سيدى برغم أنهم أحرار ؟ »

- « لن أجادل .. »

قالها السيد وغادر الغرفة ، ولم يعد (أندرو) يراه كثيرًا بعد هذا .

جاءت الآنسة الصغيرة لتراه فى البيت الصغير الذى صنع له . بالطبع لم يكن له مطبخ ولا حمام . كان مكونًا

من غرفتين واحدة منهما مكتبة .. وواحدة عبارة عن خليط من مخزن وورشة . لقد تلقى (أندرو) عقودًا كثيرة وعمل بِجِدٍّ حتى سدد تكاليف المنزل وصار ملكه.

حتى جاءه ذات يوم السيد الصغير .. كلا ! جاءه (جورج) ! إنه أصر على هذا بعد جلسة المحكمة ، وقال إن الحر لا ينادى أحدًا باسم (السيد الصغير) ..

ـ « نادنى (جورج) كما أناديك (أندرو) .. »

كان (جورج) هنا ليخبره أن السيد يحتضر .. كانت الآنسة الصغيرة هناك ، لكن السيد أراد أن يرى (أندرو) كذلك .

كان صوته ما زال قويًا برغم إنه عاجز عن الحركة . راح يقاوم ليرفع رأسه .

ـ « (أندرو) .. لا تساعدونى .. أنا لست معوقًا .. أنا فقط أحتضر ... يسعدنى أن أراك حرًا .. أردت ان تعرف هذا .. »

لم يدر (أندرو) ما يقول ، فهو لم يكن قط جوار سرير محتضر .. لكنه أدرك أن هذه هى الطريقة البشرية للتوقف عن العمل . إنه تجريد إجبارى من القدرة على الأداء . لم يعرف ما يقول ، لكنه لم يستطع أن يقف صامتا ساكنًا.

حينما انتهى الأمر ، قالت له الآنسة الصغيرة :

ـ « ربما لم يكن ودودًا معك قرب النهاية يـا (أنـدرو) ، لكنه كان مسنًا وقد آلمه أن ترغب فى التحرر منه .. »

قال (أندرو) :

ـ « ما كنت لأتحرر من دونه أيتها الآنسة الصغيرة .. »

★ ★ ★

-٩-

فقط بعد وفاة السيد بدأ (أندرو) يلبس الثياب .. جرب سراويل قديمة أولاً . وكان (جورج) قد تزوج وصار محاميًا . لقد التحق بشركة (فاينجولد) .. أما المحامى العجوز فكان قد شاخ ومات لكن زوجته واصلت العمل . فى النهاية صار اسم الشركة (فاينجولد ومارتين) ، وقد ظلت كذلك حتى بعدما تقاعدت الابنة .

حاول (جورج) ألا يبتسم وهو يرى (أندرو) يحاول ارتداء السراويل للمرة الأولى . لكن (أندرو) رأى الابتسامة بوضوح . علمه (جورج) كيف يستعمل الشحنة الإستاتيكية ليفتح السراويل ثم يسحبها على أسفل جسده .. أراه ذلك على سراويله لكن (أندرو) قدر أنه يحتاج لوقت كى يجيد هذه الحركة الانسيابية.

ـ « لكن لماذا ترغب فى سراويل يا (أندرو) ما دام جسدك يعمل بكفاءة ؟ أنت لست قلقًا بصدد البرد أو الخجل .. »

هنا أجاب (أندرو) :

- « أليست أجساد البشر تعمل بكفاءة كذلك ؟ ولكنهم يغطون أجسادهم ؟ »

- « للدفء .. للنظافة .. للحماية .. للزينة .. كل هذا لا ينطبق عليك .. »

- « أشعر بالعرى دون ثياب يا (جورج) .. أشعر بأننى مختلف .. »

- « مختلف ؟ هناك ملايين الروبوتات على الأرض الآن .. فى هذه المنطقة بالذات حسب التعداد هناك نفس عدد البشر من الروبوتات .. ولا يرتدى أى منها ثيابًا .. »

بدأ (أندرو) برغم هذا يضيف ثيابًا لخزانته . ربما كان حرًا لكن فى داخله كان ذلك البرنامج الذى يرغمه على الإصغاء للبشر .. وأى علامة انتقاد كانت تؤخره عدة أشهر . كان يحرص مثلاً على ألا تراه الآنسة الصغيرة وهو يضع الكثير من الثياب .

فى إحدى زياراته قال له (جورج) ، محزونًا :

- « لقد ظفرت بى يا (أندرو) .. سوف أذهب للهيئة التشريعية العام القادم .. تقول إن الحفيد سيكون كالجد ..

أنا أعنى هذا .. سأكون مثل السيد الذى كان فى الهيئة التشريعية .. إننى أفتقد هذا الوحش العجوز الآن .. آه لو كان حيًا .. »

ظل (أندرو) يتذكر هذه المحادثة .. كان يشعر بنقص قدراته اللغوية عندما يتكلم مع (جورج) . لقد تغيرت اللغة كثيرًا منذ جاء هذا البيت مزودًا بقاموسه اللغوى الخاص . كان (جورج) يستعمل لغة عامية تختلف عن لغة السيد . لماذا نسمى السيد وحشًا ما دامت هذه اللفظة لا تناسبه بالتأكيد ؟

حتى كتبه لم تساعده كثيرًا لأنها كانت قديمة ، وكانت تتكلم عن نحت الخشب .. فى النهاية قرر أن يجد الكتب المناسبة .. سيذهب للمدينة ويبحث عن المكتبة ..

ارتدى ثيابًا كاملة ، ومشى نحو مائة قدم بعيدًا عن البيت قبل أن يشعر بمقاومة عنيفة ترغمه على التوقف . حاول تبديل دوائره ، لكن هذا لم يغير شيئًا ..

عاد للبيت وعلى قطعة ورق كتب :

ـ « ذهبت إلى المكتبة .. »

ووضعها فى مكان ظاهر أمام منضدة العمل.

* * *

-١٠-

لم يستطع (أنــدرو) أن يذهـب للمكتبـة قـط بـالمعنى الصحيح.

كان قد درس الخارطة وعرف الطريق ، لكنـه لا يعرف كيف تبدو . كانت علامات الطريق لا تشبه المرسـومة علـى الخارطة مما كان يربكه . فى النهـاية قرر أنه ضل الطريق على الأرجح.

مر بروبوت حقل لكنـه قرر ألا يسأله . ومرت به سيارة لكنه لم يتوقف.

وقف متردداً أى أنـه وقـف بـلا حراك ؛ لأنـه رأى عبر الحقل إنسانين قادمين.

استدار نحوهما ، فاتجها نحوه .. بدت عليهما السـمات التى ربطها (أندرو) بالحيرة عند البشر .. كانـا شـابين .. ربمـا فى العشرين ؟ لم يكن قط بارعًا فى تخمين عمر البشر ..

- « هل يمكن أن تصفـا لـى الطريق لمكتبـة البلدة أيهـا السيدان ؟ »

قال الفتى الطويل ، الذى أضافت قبعته طولاً لقامته :

ـ « إنه روبوت .. »

قال الآخر ، ذو الجفنين الثقيلين والأنف الذى يشبه البصلة :

ـ « إنه يلبس ثيابًا .. »

سأله الفتى الطويل :

ـ « هل أنت روبوت (مارتن) ؟ الذى صار حرًّا ؟ »

ـ « أنا (أندرو مارتين) يا سيدى .. »

ـ « إذن انزع هذه الثياب .. الروبوت لا يلبس ثيابًا .. إن هذا مقرف ! »

تردد (مارتن) .. فهو لم يسمع هـذه اللهجـة من قبـل ، حتى إن دوائره بدأت تختل لحظيًا.

كرر الفتى الطويل الأمر :

ـ « هيا .. انزع ثيابك .. »

ببطء نفذ (أندرو) الأمر ، وقال ذو الأنف :

ـ « إن لم تكن تخص أحدًا فهى لنا .. »

قال الطويل لـ (أندرو) :

ـ « قف على رأسك .. »

ـ « الرأس لا يصلح لـ ... »

ـ « هذا أمر .. لو لم تعرف كيف حاول .. »

تردد (أندرو) ثم انحنى ووضع رأسه على الأرض .. حاول رفع قدميه فلم يستطع ..

قال الفتى الطويل :

ـ « بوسعنا أن نفككه .. هل فككت (روبوت) قبل هذا ؟ »

ـ « هل يتركنا نفعل ؟ »

ـ « كيف يستطيع منعنا ؟ »

ما كان (أندرو) ليقدر على منعهم لو أمروه بذلك ؛ لأن القانون الثانى يعلو على القانون الثالث .. طاعة البشر أهم من الحفاظ على سلامته .. وما كان ليقدر على مقاومتهم من دون أن يؤذيهما .. وهذا سيخرق القانون الأول ..

مشى الطويل نحوه ودفعه بقدمه ، وقال :

ـ « إنه ثقيل .. نحتاج لآلات لننجز المهمة .. »

ـ « يمكننا أن نأمره بأن يفك نفسه .. سيكون مسليًا أن نراه يجرب .. »

قال الطويل مفكرًا :

ـ « نعم .. لكن لنبعده عن الطريق ؛ حتى لا يرانا أحد .. »

كانا قد تأخرا فعلاً .. لقد جاء شخص فعلاً ، وكان هو (جورج)..

رآه (أندرو) قادمًا على البعد .. وتمنى أن يشير له لكن آخر أمر تلقاه كان (استلق هنا)..

كان (جورج) يجرى الآن ... وقد تراجع الشابان بينما هتف هو فى قلق :

ـ « أندرو .. هل ثمة شىء خطأ ؟ »

أجاب (أندرو) :

ـ « بخير يا (جورج) .. »

ـ « إذن قف .. أين ذهبت ثيابك ؟ »

سأله الشاب الطويل :

ـ « هل هذا هو الروبوت الخاص بك ؟ »

استدار (جورج) بحدة ، وقال :

ـ « هو لا يخص أحدًا .. ماذا يجرى هنا ؟ »

ـ « طلبنا منه فى أدب أن ينزع ثيابه .. ماذا يعنيك هذا إن لم تكن تملكه ؟ »

قال (أندرو) :

ـ « كان هدفهما أن يفككانى بشكل ما .. كانا سينقلاننى إلى مكان هادئ ، ويطلبان منى أن أفكك نفسى .. »

نظر (جورج) إلى الشابين وارتجف فكه.

لم يتراجع الشابان بل كانا يبتسمان . وقال الطويل :

ـ « ماذا ستفعله يا أحمق ؟ هل ستهاجمنا ؟ »

قال (جورج) :

ـ « لا .. لن أفعل .. هذا الروبوت ظل مع أسرتى ٧٥ عامًا .. إنه يعرفنا ويقدرنا أكثر من أى شخص آخر ..

سأخبره أنكما تهددانني وتنويان قتلى .. سأطلب منه الدفاع عني .. هل تعلمان ما سيحدث ؟ »

تراجع الشابان وقد بدا عليهما عدم الراحة.

قال (جورج) :

ـ « (أندرو) .. أنا فى خطر من هذين الشابين .. فهلا تحركت لإنقاذى ؟ »

نهض (أندرو) فلم ينتظر الشابان .. لقد ركضا فارين.

ـ « هلم يا (أندرو) .. اهدأ .. »

كان (جورج) قد تجاوز سن مواجهة شاب واحد .. فماذا عن اثنين ؟

ـ « ما كنت لأهاجمهما يا (جورج) .. لقد رأيت أنهما لا يهاجمانك .. »

ـ « لم آمرك بمهاجمتهما .. قلت لك أن تنهض .. وقد تكفل خوفهما بالباقى .. »

ـ « كيف يخافان الروبوت ؟ »

ـ « هذا مرض لدى البشر لا علاج له .. لكن دعك من هذا .. ماذا تفعله هنا ؟ كنت على وشك البحث عن هليوكوبتر أستأجرها حينما وجدتك هنا .. كيف فكرت فى الذهاب للمكتبة ؟ بوسعى أن أجلب لك الكتب التى تريدها .. »

ـ « أردت أن أعرف معلومات عن البشر .. عن العالم .. عن الروبوتات .. أريد أن أكتب كتاب تاريخ عن الروبوتات .. »

ـ « لكن العالم ملىء بالروبوتات والكتب التى تحكى عن تاريخ الروبوتات .. .. »

هز (أندرو) رأسه وهى حركة بشرية تعلم مؤخرًا أن يستخدمها ..

ـ « ليس تاريخ الروبوتات فحسب يا جورج .. تاريخ الروبوتات كما كتبه روبوت .. .. »

ارتفع حاجبا (جورج) ولم يقل شيئًا كرد مباشر..

★ ★ ★

-١١-

كانت الآنسة الصغيرة قد تجاوزت الثالثة والثمانين ، لكن شيئًا لم يتبدل فيها من ناحية القوة والعزم . وكانت تشير بعكازها أكثر مما كانت تتوكأ عليه.

غضبت كثيرًا عندما سمعت ما جرى لـ (أندرو) ، وقالت :

ـ « (جورج) .. لو أنك ترى فإن هذا بسبب مواهب (أندرو) .. إن المال الذى حققه هو أساس كل ما نملك .. لقد قدم الاستمرارية لهذه الأسرة .. ولن أترك أحدًا يعامله كدمية (بزمبلك) .. »

ـ « ماذا تريدين أن أفعله يا أمى ؟ »

ـ « أنت محام .. ألا تفهم هذا ؟ سوف ترغم السلطات التشريعية على تعريف حقوق الروبوت .. وخذ كل شىء إلى المحكمة العالمية .. سوف أراقب يا (جورج) ولن أقبل تهربًا من الواجب .. »

كانت جادة .. وسرعان ما وجد أن ما بدأه كوسيلة لترضية السيدة المسنة صار قضية ذات أهمية قانونية بالغة . بما أنه شريك أكبر لشركة (فاينجولد) و(مارتين) وضع

الاستراتيجية ، لكنه ترك مهمة التنفيذ للشباب وبصفة خاصة لابنه (بول) ، الذى صار عضوًا فى الشركة .. وصارت الآنسة الصغيرة تناقش التفاصيل كل يوم مع (أندرو) . وكانت له آراء مهمة :

ـ « قال لى (جورج) أن هذين اللذين هاجمانى كانا يخشيان البشر .. معنى هذا أن المحكمة لن تتحمس لى كثيرًا .. فهل ترين أن نبدأ أولاً بتغيير الرأى العام عن الروبوت ؟ »

هكذا قرر (جورج) أن يتولى هذا الجزء المتعلق بالرأى العام .. وساعده على ذلك أنه لم يكن يتولى منصبًا رسميًا .. وقد ترك لابنه عمل المحكمة وراح يحاضر فى كل مكان ..

ذات مرة وجه كلامه للصحفيين فى المؤتمر السنوى للمحررين العالميين قائلاً :

ـ « لو كان بوسعنا طبقًا للقانون الثانى أن نطلب الطاعة من الروبوت ، فإن كل بشرى يملك قوة مخيفة يسيطر بها على الروبوت .. أى روبوت .. وبما أن القانون الثانى يتفوق على الأول ، فإن كل إنسان يمكنه أن يغلب قانون الطاعة على قانون حماية الذات ... يمكنه أن يأمر الروبوت بتدمير نفسه لأى سبب أو بلا سبب..

ـ « هل هذا عدل ؟ هل نحن نعامل الحيوان بذات الطريقة ؟ الروبوت ليس حيوانًا ... إنه يفكر ويتكلم معنا ويمزح .. هل نعاملهم كأصدقاء ثم لا نمنحهم بعض ثمار هذه الصداقة ؟ إن القوة العظيمة يجب أن توجد مع مسئولية عظيمة .. وإذا كان الروبوت لديه ثلاثة قوانين تحدد له تعامله مع الإنسان ، فهل من الكثير أن نطالب الإنسان بتنفيذ قانون واحد ؟ »

أخيرًا نجحت الحملة وتم تمرير قانون يحرم استخدام القانون لجعل الروبوت يؤذى نفسه . كانت العقوبات غير كافية لكنها كانت بداية .. أما آخر ما حدث لهذه التشريعات فكان يوم توفيت الآنسة الصغيرة.

لم تكن تلك صدفة .. لقد قاومت الآنسة وتشبثت بالحياة إلى أن سمعت كلمة النصر .. كانت آخر ابتسامة لها لـ (أندرو) . وآخر كلماتها كانت :

ـ « لقد كنت طيبًا معنا يا (أندرو) .. »

وماتت ويدها تمسك بيده .. على حين وقف ابنها وأبناء ابنها على مسافة محترمة منهما ..

★ ★ ★

-١٢-

انتظر (أندرو) بصبر بينما الروبوت المكلف بالاستقبال يتوارى بالمكتب الداخلى . استعمل الروبوت صندوق المحادثة الهولوجرافية لكنه ارتبك بالتأكيد ؛ لاضطراره للتفاهم مع روبوت آخر وليس مع إنسان.

جاء أحدهم للغرفة لينظر له ، فلم يحاول تحاشى النظرة .

جاء (بول مارتين) وكان مندهشًا أو هذا ما فهمه (أندرو) من تعبير وجهه . كان الرجل يضع الماكياج الثقيل الذى تحتمه الموضة لكلا الجنسين . ولم يرق هذا لـ (أندرو) .. وكان قد لاحظ أن اعتراضه على شىء فى البشر لم يعد يضايقه . بل صار بوسعه أن يكتب عن هذا الشىء الذى ضايقه .

- « هلمَ يا (أندرو) .. آسف لأننى تركتك تنتظر .. كان هناك شىء أردت أن أنهيه ... »

- « لو كنت منشغلاً يا (بول) فلسوف أنتظر .. »

نظر (بول) إلى الظلال المتحركة على القرص المعلق على الحائط ، وقال :

- « بوسعى أن أجد بعض الوقت . هل جئت وحدك ؟ »

- « استأجرت (أوتوماتوبيل) .. »

- « وهل من مشكلة ما ؟ »

- « لا أتوقع مشاكل .. إن حقوقى فى أمان .. »

نظر له (بول) فى قلق ، وقال :

- « لكنك لو أصررت على ارتداء الثياب طيلة الوقت فلسوف تقع فى شتى أنواع المشاكل .. كما حدث لك أول مرة .. ما أخبار كتابك ؟ »

- « دنوت من النهاية .. الناشر مسرور بذلك .. »

- « جميل .. »

- « لا أحسبه معجبًا بالكتاب نفسه ، بل بفكرة أن (روبوت) هو كاتبه .. لكن لندعه ينجح لأى سبب فنجاحه يعنى المال ، وأنا بحاجة للمال .. »

- « جدتى تركت لك ... »

- « الآنسة الصغيرة كانت سخية .. وأعرف أن بوسعى الاعتماد على الأسرة لمساعدتى ، لكنى بحاجة للكتاب لأقوم بالخطوة التالية .. »

- « أية خطوة تالية ؟ »

- « أريد مقابلة رئيس اتحاد الروبوتات والناس الآليين الأمريكى .. حاولت تحديد موعد ، لكنى عجزت عن الوصول إليه حتى الآن .. إن الاتحاد لم يتعاون معى فى كتابة الكتاب ، لذا أنا لست مندهشًا .. »

ابتسم (بول) ، وقال :

- « التعاون آخر ما تنتظره منهم .. هم لم يعاونونا فى المعركة الأخيرة والسبب واضح .. أعط الروبوتات حقوقًا دستورية ، ولسوف يعزف الناس عن شرائها .. »

- « لكن بوسعك أن تتصل بهم لتحديد موعد لى .. »

- « لست أكثر شعبية عندهم منك يا (أندرو) .. »

- « يمكنك أن تزعم أن لقائى يحسن فرص ترويج الروبوتات .. »

ـ « لكن ألا تكون هذه كذبة ؟ »

ـ « بلى .. وأنا غير قادر على الكذب .. لهذا أطلب منك أن تتصل أنت بهم .. »

ـ « ليس بوسعك أن تكذب لكن يمكنك أن تلح علىّ كى أكذب أنا ! أنت تزداد بشرية مع الوقت يا (أندرو) ! »



-١٣-

ما كان تدبير المقابلة سهلاً .. حتى مع أهميـة اسم (بول) المفترضة . وحين تمت لم يبد (سميث روبرتسون) ـ حفيد مؤسس الاتحاد ـ سـعيدًا .. فقد كـان على وشك التقـاعد ، وقد ضايقه طيلـة حياتـه المهنيـة هذا الكلام عـن حقـوق الروبوت . وقـد راح يرمق (أندرو) بعدوانيـة خفيفـة من حين لآخر.

بدأ (أندرو) المحادثة :

ـ « سيدى .. منذ قرن مضى قال لى (ميرتون مانسكى) من هذه الرابطـة أن الرياضيـات التى تتحكم فـى مسـارات البوزيترون معقدة جدًا ، بحيث لا تسمح إلا بحلول تقريبيـة .. لهذا لم يتم التنبؤ بقدراتى الكاملة .. »

قال المدير ، فى برود :

ـ « كان هذا منذ قرن .. روبوتاتنا مصنوعة بدقـة اليوم وتؤدى بـالضبط العمـل الـذى صممـت لـه. .. ليس مـن المستحب أن يرتجل الروبوت .. »

ـ « إذن لم يعد أحد يصنع روبوتات مثلى .. مرنة قابلة للتكيف ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « أنا أقدم (روبوت) يملك القدرة على التصرف منفردًا .. »

ـ « الأقدم حاليًا والأقدم للأبد .. بعد العام الخامس والعشرين نعتبر كل روبوت عديم النفع .. نستردهم ونستبدل بهم موديلات حديثة .. »

قال (بول) ، بشىء من السخرية :

ـ « كل روبوت غير مفيد بعد العام العشرين .. (أندرو) هو الاستثناء الوحيد .. »

واصل (أندرو) النهج الذى رسمه لنفسه :

ـ « بما أننى أقدم (روبوت) .. أليس من حقى أن أنال بعض المعاملة الخاصة ؟ »

ـ « بالعكس .. إن اختلافك مصدر حرج للشركة ، ولو كان بوسعنا استردادك لفعلنا .. »

ـ « لهذا جئتك بكامل إرادتى .. أنا حر الآن .. وأطالب باستبدالى .. »

نظر له (سميث روبرتسون) فى دهشة وذهول ، ثم ساد صمت .. ووجد (أندرو) نفسه يحدق فى صورة هولوجرافية على الجدار تمثل (سوزان كالفين) راعية كل الروبوتات . كان يعرفها من قراءاته عنها ، ويعرف أنها توفيت منذ مائتى عام.

فى النهاية قال (سميث) :

- « كيف أستبدلك ؟ لو استبدلتك كروبوت فكيف لى أن أمنحك الروبوت الجديد باعتبارك مالكه ، ما دامت عملية التبديل تعنى توقفك عن الوجود ؟ »

تدخل (بول) :

- « ليس هذا صعبًا .. إن دوائر (أندرو) البوزيترونية هى ذاته .. ولا يمكن تبديلها إلا والنتيجة هى خلق روبوت جديد .. المخ البوزيترونى هو (أندرو) المالك .. كل جزء آخر يمكن تبديله دون المس بشخصية المالك .. بمعنى آخر (أندرو) يرغب فى أن يحصل عقله على جسد آخر جديد .. »

قال (أندرو) ، بهدوء :

ـ « نعم .. لقد صنعتم أندرويدات .. أليس كذلك ؟ . روبوتات لها ذات شكل البشر وذات ملمس الجلد .. »

ـ « نعم .. وقد عملت بكفاءة .. لا يوجد فيها معدن فى أى مكان عدا العقل .. لكنها صلبة كأنها معدنية .. »

ـ « مدهش .. وكم منها فى السوق ؟ »

ـ « ولا واحد ! كانت باهظة الثمن وأثبتت دراسات التسويق أنها لن تقبل ؛ لأنها تبدو بشرية أكثر من اللازم .. »

بدا (أندرو) منفعلاً جدًا :

ـ « إذن أنا أطلب أن أصير أندرويد .. »

هتف (بول) ، فى ذهول :

ـ « يا إلهى الرحيم ! »

تصلب (روبرتسون) ، وقال :

ـ « مستحيل تمامًا .. »

ـ « ولماذا ؟ أنا مستعد لدفع أية نفقات .. »

- « نحن لا نصنع أندرويدات .. هذا ضد السياسة العامة .. »

قال (بول) :

- « لا يوجد قانون يمنع هذا .. وهذا يضعنى أمام قضية واضحة .. من حق موكلى باعتباره شخصاً حراً أن يحصل على استبدال روبوت لأن الشركة تتيح هذا لكل روبوت يتجاوز ٢٥ سنة من الخدمة .. رفضكم يعنى أن موكلى يتلقى إهانة ومن حقه أن يقاضيكم .. رأيى أنكم لن تحبوا هذه المقاضاة لأن الجمهور ليس مولعاً بكم .. ربما يعود هذا لأيام الماضى حينما كان الناس يخافون الروبوت ، أو لأن الناس بطبعهم لا يثقون فى الشركات الثرية العملاقة .. »

احمر وجه المدير ، وقال :

- « أنت تحاول ... »

- « لا أرغمك على شىء .. لو رفضت فهذا اختيارك ولسوف نرحل من دون أن نقول كلمة أخرى .. لكننا سنقاضيك ولسوف ترانا نربح .. دعك من أننى سأعتبرك مسئولاً عن كل دائرة فى عقل موكلى .. فلو تأثر بعملية

التبديل هذه سأبذل ما بوسعى كى أحرك الرأى العام ضدكم .. هل توافق يا (أندرو) ؟ »

تردد (أندرو) وهو يشعر أن الأمر يحتاج إلى موافقته على الكذب والابتزاز وتهديد كائن بشرى ، لكن ليس أذى ماديًا .. ليس أذى ماديًا ..

فى النهاية قال :

ـ « نعم .. »

★ ★ ★

-١٤-

شعر (أندرو) بأن تركيبه يعاد من جديد .. ولأيام عدة .. لم يعد يعرف ذاته وراح يتردد بصدد أبسط الأفعال . وكاد (بول) يجن :

- « لقد آذوك يا (أندرو) .. سوف نقاضيهم ! »

فكان (أندرو) يقول :

- « لن تفلح .. لن تستطيع أبدًا أن تبرهن عن شيء مثل .. مثل .. »

- « مثل الإيذاء ؟ »

- « لم .. لم تتم قط .. قط جراحة كهذه .. »

لكن (أندرو) كان يشعر بعقله الداخلى ويعرف أنه لم يمس .. فقط احتاج لستة أشهر كى يستعيد توافقه العضلى العصبى .. واحتاج لقضاء ساعات أمام المرآة ..

بشرى فعلاً ! وجهه متصلب وحركاته متمهلة للغاية ، وتفتقر للسريان اللامبالى للبشر .. ربما يأتى هذا فيما بعد ، أما الآن

فهو على الأقل قادر على ارتداء ثيابه دون المنظر السخيف لوجه معدنى يطل منها.

قال لـ (بول) :

ـ « سأعود إلى العمل .. لقد قضيت بداية حياتى كفنان .. ثم صرت مؤرخًا .. الآن أرغب فى أن أصير عالم روبوتات robotolgist .. »

ـ « هل تقصد خبيرًا نفسيًّا للروبوتات ؟ »

ـ « ليس المخ البوزيترونى .. بل الجسد المتصل بهذا المخ .. »

ـ « ألا يعنى هذا أن تكون مختص روبوتات roboticist ؟ »

ـ « لا .. مختص الروبوتات يعمل على الجسد المعدنى ... أنا سأدرس جسدًا بشريًّا عضويًّا ، أعرف أننى الوحيد الذى يملكه .. »

ـ « لكن هذا يضيق حقل عملك .. معنى هذا أن تعكف على دراسة نفسك .. »

ـ « يبدو هذا .. »

راح (أندرو) يدرس من البداية فهو لم يكن يعرف شيئاً عن الجسد البشرى ولا عن العلم .. صار يتردد بكثرة على المكتبات .. حيث كان يجلس لساعات ومظهره طبيعى جداً ..

بنى مختبراً فى غرفة ألحقها بالمنزل ، ونما مختبره كذلك.

ذات يوم جاءه (بول) ليقول :

- « من المحزن أنك لم تعد مؤرخاً للروبوتات .. إن روبوتات الولايات المتحدة ستخضع لسياسة جديدة تماماً .. »

كان قد شاخ ، وقد استبدلوا بعينيه خلايا بصرية .

سأله (أندرو) :

- « ماذا فعلوا ؟ »

- « يصنعون كمبيوترات مركزية عملاقة تتصل من أى مكان بعدد يتراوح بين ١٢ إلى ألف كمبيوتر عن طريق الموجات القصيرة . لم تعد هناك عقول للروبوت لكنهم مجرد أطراف لمخ عملاق بعيد .. »

- « هل هذا يجعلهم أكثر كفاءة ؟ »

ـ « (سميث روبرتسون) وضع هذه السياسة قبل موته ، ورأيى أن هذا رد فعل معاد تجاهك .. الشركة قررت ألا تصنع روبوتات تسبب لها المشاكل التى سببتها أنت .. لقد فصلوا المخ عن العقل .. المخ لا يأمل فى جسد أفضل ، والجسد لا يفكر فى أى شىء .. من المذهل أن يتصور المرء تأثيرك على تاريخ الروبوتات .. أنت من أدخل مبدأ حقوق الروبوتات .. وتصميمك على جسد أندرويد سبب فصل المخ عن الجسد .. »

فكر (أندرو) ثم قال :

ـ « أعتقد أنهم فى النهاية سيصنعون عقلاً واحدًا جبارًا يسيطر على كل الروبوتات .. كل البيض فى سلة واحدة وهذا خطر .. ليس صحيحًا على الإطلاق .. »

قال (بول) :

ـ « على كل حال هذا التغيير قد يحتاج إلى قرن كامل .. أنا لن أراه .. فى الحقيقة لا أعتقد أننى سأرى العام القادم .. »

صاح (أندرو) :

ـ « (بول) !! »

فهز هذا كتفيه ، وقال :

- « البشر فانون .. نحن لسنا مثلك .. لكن ما يجب أن تعرفه هو أننى آخر آل (مارتين) .. كل ما أملكه أتركه لك فى وصيتى ... سوف تكون فى أمان من الناحية الاقتصادية .. »

برغم كل هذا الزمن لم يستطع (أندرو) قط أن يهضم موت آل (مارتين).

- « دعنا لا نتجادل .. فالأمور ستصير كذلك ... ماذا تنوى عمله الآن ؟ »

- « أصمم نظامًا يسمح للأندرويدات بأن تحصل على الطاقة من الهايدروكربونات ... »

رفع (بول) حاجبيه :

- « هل تعنى أن تأكل وتتنفس ؟ »

- « نعم .. »

- « منذ متى تتحرك فى هذا الاتجاه ؟ »

- « منذ زمن .. لكننى أخيرًا تمكنت من تصميم غرفة احتراق للحصول على الطاقة .. »

★ ★ ★

-١٥-

مع موت ابن حفيد السيد ، شعر (أندرو) بأنه مكشوف لعالم معاد ، وهذا جعله أكثر تصميمًا على ما انتواه..

لكنه لم يكن وحده تمامًا ؛ لأن الإنسان يموت لكن شركة (فاينجولد ومارتان) تعيش .. إنها خالدة كالروبوت ذاته.

كانت للشركة تعليماتها وقد ظلت تتبعها بلا روح . وظل (أندرو) ثريًا .. لكنه زار شركة الروبوتات وحده .. لقد زارها مرة مع السيد ومرة مع (جورج) ومرة مع (بول) .. هذه المرة هى الثالثة لكنه يزورها وحده ..

لقد تبدلت الشركة كثيرًا .. لقد تحولت الأرض نفسها إلى ما يشبه الحديقة وتعداد البشر قد ثبت عند بليون نسمة .. أما الروبوتات فعددها مماثل لذلك ، وإن كان أقل من ثلثها يملك عقلاً .

مدير الأبحاث كان (ألفين ماجديسكو) .. أسمر الشعر والبشرة له لحية مدببة ، ولا يلبس فوق الخصر إلا حزام الصدر الذى صار موضة .

صافح (ماجديسكو) زائره ، وقال :

ـ « أعرفك طبعًا وسعيد لرؤيتك .. أنت منتج ممتاز ومن المؤسف أن المرحوم (روبرتسون) لم يكن يميل لك ، وإلا لأنجزنا عملاً مهمًا معًا .. »

ـ « ما زال بوسعنا ذلك .. »

ـ « للأسف لا .. الروبوتات سيتم إرسالها للفضاء ، ومن يبق منها هنا سيكون بلا عقل .. »

ـ « لكننى روبوت وأنا باق على الأرض .. »

ـ « نعم .. لكن ليس هناك من هم مثلك .. ماذا بوسعى أن أقدمه لك ؟ »

ـ « أرغب فى مصدر عضوى للطاقة .. ولدى خطة تقضى بأن ... »

سمع (ماجديسكو) الخطة .. وبدا متصلبًا مهتمًا ثم قال :

ـ « هذا يستدعى تغييرات عظمى .. تجريبية .. رأيى أن تبقى كما أنت ولا تجرب .. »

لم يكن وجه (أندرو) يظهر انفعالاته لكن صوته بدا نافذ الصبر إذ ، قال :

- « سيدى .. أنت لا تفهم أنه ليس لديك الخيار إلا الاستجابة لمطلبى .. إن الحاجة لإطالة عمر الإنسان بأدوات صناعية ملحة الآن .. ولا يوجد أفضل من تلك التى قمت بتصميمها .. يمكننى أن أنتجها عبر شركتى .. أدوات صناعية تعويضية للإنسان مشتقة من المستخدمة للروبوت .. سوف يؤثر هذا على مبيعاتكم .. لو قبلتم أن تجروا العملية لى ، فلسوف أمنحكم حقوق استغلال الاختراع .. لن أوقع العقد الأساسى إلا بعد العملية وبعد مرور وقت يؤكد لى أنها ناجحة .. »

بدا الذهول على الرجل ، وقال :

- « لست من يقرر هذا .. إنه قرار الاتحاد .. »

- « يمكننى الانتظار لوقت معقول .. لكن فقط لوقت معقول .. »

وفكر فى رضا أن (بول) نفسه ما كان ليؤدى هذا بشكل أفضل ..

* * *

-١٦-

بعد وقت معقول نجحت الجراحة ..

وقال (ماجديسكو) :

ـ « كنت ضد إجراء الجراحة يا (أندرو) لكن ليس للأسباب التى تظن .. كنت سأرحب بالجراحة لو تمت على شخص آخر ؛ لأنى كنت قلقًا على دوائر مخك البوزيترونية .. »

ـ « كنت واثقًا من براعتكم .. إن بوسعى أن آكل الآن .. »

ـ « يمكنك شرب زيت الزيتون فهو يضمن تنظيف غرف الاحتراق .. كما شرحنا لك .. »

ـ « ربما اهتم بما هو أكثر .. أنا أصمم أداة تتعامل مع الطعام الصلب الذى توجد به مواد غير قابلة للهضم .. مواد يجب التخلص منها .. »

ـ « إذن سوف تحتاج إلى شرج .. »

ـ « أو ما يماثله .. »

ـ « وما الذى يماثل الشرج ؟ »

ـ « كل شىء .. »

ـ « جهاز تناسلى كذلك ؟ »

ـ « جسدى لوحة قماش أرسم عليها ... »

انتظر (ماجديسكو) أن ينهى الجملة ، فلما لم يفعل أكملها له :

ـ « ترسم عليها رجلاً ؟ أنت لا تفهم يا (أندرو) .. أنت أكمل من الإنسان .. لكنك بدأت الانحدار منذ قررت أن تصير عضويًا .. لماذا تلعب المزيد من الألعاب مع جسدك ؟ »

لم يرد (أندرو) .

جاء التكريم .. وقبل عضوية عدد من الجمعيات المثقفة ، ومنها جمعية اختصت بالعلم الذى ابتكره . علم الروبوتات .. وفى عيد ميلاده رقم ١٥٠ أقيم حفل تكريم له بشركة الروبوتات .

حضر (ماجديسكو) الحفل مع تقاعده .. لقد كان فى الرابعة والتسعين ، وسبب بقائه حيًا هو تلك الأجهزة التعويضية التى تؤدى عمل الكبد والكليتين . ووصل العشاء لذروته عندما رفع الرجل كأسه فى صحة الروبوت ..

كانت أعصـاب وجـه (أنـدرو) قد تطورت إلى حد أنـه يستطيع أن يرسم تعبيرًا شبه آدمى . لكنه ظل سلبيًا طيلـة الاحتفالات ...

لم يحب فكرة أن عمره ١٥٠ عامًا..



-١٧-

فى العقود التى تلت هذا الحفل ، كان القمر قد صار أشبه بالأرض من الأرض نفسها ، فى كل شىء عدا الجاذبية .. وفى مدنه التحت أرضية كان هناك تعداد سكانى هائل . وقد قضى (أندرو) على القمر خمسة أعوام يطور الأجهزة التعويضية لتتناسب والجاذبية الضئيلة .

عاد للأرض التى صارت رتيبة هادئة بالمقارنة ، وزار مكاتب (فينجولد ومارتين).

دهش (سيمون ديلونج) المدير الحالى للشركة :

ـ « كنا نتوقع قدومك يا (أندرو) لكن ليس قبل الأسبوع القادم .. »

ـ « نفد صبرى .. على القمر كنت مسئولاً عن فريق بحثى من عشرين عالمًا ... وكانوا يطيعوننى بلا مناقشة ويعاملوننى كأننى إنسان .. فلماذا لا أعتبر إنسانًا ؟ »

ـ « أنت إنسان بحكم الأمر الواقع De facto .. »

ـ « أريد أن أعامل كإنسان بحكم القانون De jur .. »

قال الرجل فى حذر :

ـ « هذه هـى المشـكلة .. مهمـا كنـت تبـدو بشـريًا فـأنت لست كذلك .. .. »

ـ « ولمه ؟؟ إننى أبدو بشريًا .. لـدى أعضاء تعويضيـة تشبه تلك الموجودة لدى أناس كثـيرين ، وقد سـاهمت فنيًـا وعلميًا فى الثقافة البشرية .. فماذا أفعل ثانية ؟ »

ـ « أعتقد أن هذا يتطلب تشريعًا دوليًـا .. وأنـا لا أعتقـد أن هذا سيحدث .. لكن يجب أن تخاطب رئيس لجنـة العلـوم والتقنية .. »

ـ « إذن فلترتب لنا هذا اللقاء .. »

لم يتصور (أندرو) قط أن يصدر أمـرًا لإنسـان .. لكنـه اعتاد هذا على القمر على كل حال ..



★ ★ ★

-١٨-

كان رئيس اللجنة امرأة من جنوب شرق آسيا تدعى (تشى لى سنج) ، وكانت ثيابها الشفافة تجعلها تبدو كأنها ملفوفة فى البلاستيك . قالت له :

ـ « أنا متعاطفة مع رغبتك فى حقوق بشرية كاملة ، لكن ما هى الحقوق التى ترغب فيها ولا تملكها ؟ »

قال (أندرو) :

ـ « مثل حقى فى الحياة .. الروبوت يمكن تفكيكه فى أى وقت .. »

ـ « الإنسان يمكن إعدامه فى أى وقت .. »

ـ « الإعدام يلى محاكمة .. أما تفكيك الروبوت فلا يحتاج إلى محاكمة .. تكفى كلمة رجل مسئول .. »

وبدأت تعبيرات وجهه المتصلبة تخونه ، برغم أنه أراد ألا يظهر أية علامة على التوسل :

ـ « لقد تمنيت أن أكون رجلاً على مدى ستة أجيال من البشر .. »

نظرت له فى عطف ، وقالت :

- « يمكن للمجلس التشريعى أن يعتبرك واحدًا .. يمكنهم تمرير قانون يعتبر تمثالاً من صخر كائنًا بشريًا .. لكن رجال المجلس بشر ولسوف تبقى دومًا تلك اللمسة من الشك فيك .. »

- « حتى الآن ؟ »

- « أنت قدمت كل ما يجعلك تستحق جائزة البشرية .. لكنهم سيخافون أن يضعوا سابقة مؤذية .. »

- « أية سابقة ؟ أنا الروبوت الوحيد الحر .. لن يكون هناك آخرون ..أبدًا .. »

- « أبدًا .. كلمة طويلة جدًا ... أنا أقبل أن أمنحك اعترافى كبشرى ، لكن أؤكد لك أن أيًا من أعضاء المجلس لن يوافق .. أطلب منك ألا تأمل فى شىء .. »

ثم جلست فى مقعدها ، وفكرت :

- « بل قد تخطر للبعض فكرة لحل المشكلة هى تفكيكك .. قد يجدون أن هذه أسهل وسيلة لحل المشكلة القانونية .. أريدك أن تفكر فى هذا جيدًا .. »

وقف (أندرو) ، وقال بحزم :

ـ « وماذا عن تقنيات الأعضاء الصناعية ؟ هذه فكرتى بالكامل .. »

ـ « قد يبدو هذا قاسيًا .. لكنهم لن يفكروا فى ذلك .. بل ربما جعلوها نقطة ضدك .. سيقولون إنها مؤامرة تهدف إلى تحويل البشر إلى روبوتات . أنت لم تصر قط مركز حملة مقت سياسى .. دعنى أؤكد لك أنك لن تتحمل ما سيحدث .. وهناك كثيرون سيصدقون ما سيقال . (أندرو) .. دع حياتك تمضى كما هى .. »

ـ « لو قررت أن أخوض الحرب ، فهل تكونين بجانبى ؟ »

ـ « لو شعرت أن هذا الصراع يهدد مستقبلى السياسى فلسوف أتخلى عنك . أنا أحاول أن أكون أمينة معك .. »

ـ « شكرًا لك .. لن أطلبَ المزيد .. سأخوض هذا الصراع حتى النهاية ، مهما كانت التبعات .. ولن أطلب منك عونًا إلا بقدر ما تستطيعين منحه .. »

★ ★ ★

-١٩-

لم تكن حربًا مباشرة .. لقد استعملت (فينجولد ومارتين) سياسة الصبر والنفس الطويل، وقد قال (أندرو) إن لديه الكثير منهما .. ثم حاولت الشركة الكبرى تضييق مجال الصراع .

قاموا بحملة تدعو لعدم سداد الديون لأى شخص له قلب صناعى باعتبار أن هذا يجعله (روبوت) وينزع عنه آدميته . لقد خاضوا المعركة ببراعة وخسروها فى كل خطوة، لكنهم ضمنوا أن الموضوع صار واردًا وشهيرًا . ثم عارضوه مستأنفين أمام المحكمة الدولية.

استغرق هذا أعوامًا وملايين الدولارات .

وحينما صدر القرار الأخير، شعر (دى لونج) بأنهم أحرزوا نصرًا فاق ما خسروه، وأقام حفلاً حضره (أندرو) .

- « لقد حققنا شيئين يا (مارتين) .. أولاً: أثبتنا أنه مهما كان عدد الأعضاء الصناعية فى الجسد البشرى فإنه يظل بشريًا .. ثانيًا: جعلنا الرأى العام يناقش بضراوة معنى أن تكون إنسانًا .. »

ـ « وهل تظن أنهم سيعترفون بى كبشرى ؟ »

بدا عدم الراحة على (دى لونج) ، وقال :

ـ « لا يمكننى أن أكون متفائلاً .. يبقى الوضع الذى اتخذوه مقياسًا للآدمية .. الإنسان له مخ عضوى والروبوت له مخ بوزيترونى من البلاتين والإيريديوم .. لا تتضايق يا (أندرو) .. لكن هذه نقطة لا نستطيع إرغام المحكمة على قبولها .. »

ـ « وماذا نفعل ؟ »

ـ « جرب .. إن رئيس المجلس سيكون معنا وغالبًا رئيس الجمهورية .. إن فرصتنا ضئيلة ، لكن لا بد من أن تقامر لو كنت مصرًا .. »

ـ « لن أستسلم أبدًا .. »

★ ★ ★

-٢٠-

كانت عضو الكونجرس (لى سينج) أكبر سنًا مما كانت عندما قابلها (أندرو) أول مرة .. وامتلأ شعرها بالشيب ووجهها بالتجاعيد ، أما (أندرو) فكانت ثيابه أقرب إلى الموضة التى كانت سائدة عندما ارتدى الثياب أول مرة منذ قرن .

قالت له :

- « لقد بذلنا وسعنا يا (أندرو) .. سنحاول مرة أخيرة لكن أؤكد لك أن الهزيمة مؤكدة . وسوف تتخلى عن الأمر .. كل جهودى لم تقدم لى سوى خسارة أكيدة فى الحملة الانتخابية القادمة .. »

قال لها :

- « أعرف وهذا يضايقنى ... لقد قلت إنك ستتخلين عنى لو وصلت الأمور لهذا فلم لم تفعلى ؟ »

- « فكر المرء يتغير .. فى لحظة ما بدا لى أن التخلى عنك ثمن لا أقدر على دفعه .. على كل حال أنا فى المجلس التشريعى منذ ربع قرن ، وهذا كاف .. »

- « المشكلة هى فى تعريف المخ .. هل يمكننا أن نبتعد عن مكونات المخ ؟ لنقل إن المخ هو أى شىء قادر على التفكير بصرف النظر عن تركيبه ؟ »

- « لن يصلح .. مخك صنعه البشر .. مخ الإنسان لا .. بالنسبة لأى إنسان يرغب فى أن يبقى على مسافة من الروبوت تظل هذه الاختلافات جدارًا من صلب ارتفاعه ميل وسمكه ميل .. »

كان يعرف منذ زمن أن الأمور قد تصل لهذا .. وفى النهاية سيصير القرار للجراح .

لقد وجد واحدًا بارعًا بما يكفى .. وهذا معناه أنه روبوت جراح ؛ لأنه يصعب أن تثق بجراح بشرى فى هذا .. سواء من ناحية الكفاءة أو صدق العزيمة.

لم يكن الجراح يستطيع إجراء الجراحة على إنسان ، لهذا قرر (أندرو) أن يريح الجراح ويزيح القاعدة الأولى للروبوتات بأن يخبره :

- « أنا روبوت مثلك .. »

ثم قال بحزم ، وبكل ما تعلمه من قدرة على التعبير عن نفسه :

ـ « آمرك أن تجرى لى الجراحة .. »

وبما أن القانون الأول لم يعد له وجود ، فإن أمرًا يعطى بهذا الحزم من واحد له هذا المظهر البشرى ، جعل القانون الثانى هو العامل هنا.



-٢١-

كان الشعور بالوهن الذى شعر به (أندرو) تخيليًا .. لقد شفى من الجراحة .. إلا أنه استند إلى الجدار محاولاً ألا يثير الفضول .. سوف يبدو مظهره ملفتًا لو جلس.

قالت له (لى سينج) :

ـ « التصويت الأخير يأتى هذا الأسبوع يا (أندرو) .. لم أستطع تأجيله .. سوف نخسر يا (أندرو) .. »

ـ « أنا ممتن لبراعتك فى التأجيل .. لقد منحتنى الوقت الذى أردته .. لقد قامرت .. »

سألته باهتمام :

ـ « أية مقامرة تعنى ؟ »

ـ « ما كان بوسعى أن أخبرك ولا الناس فى (فاينجولد) .. كنت أعرف أنهم سيمنعوننى .. لو كان المخ هو الموضوع ، فلا أحد يعبأ بمادة صنعه ولا تركيبه ما دامت خلاياه تموت .. لا بد أن تموت .. لا بد أن تفنى الشخصية مهما كان الجسد سليمًا .. لقد ظلت دوائرى البوزترونية قرنين ، ويمكنها أن

تبقى قرونًا .. هذا هو العائق . البشر يمكنهم أن يتحملوا (روبوت) خالدًا لكنهم لا يتحملون وجود إنسان خالد .. لهذا لن يجعلونى بشريًا أبدًا .. »

سألته :

- « ماذا تحاول قوله يا (أندرو) ؟ »

- « لقد أزلت المشكلة .. الآن تم ترتيب أن تنسحب القوى من دوائرى البوزيترونية ببطء .. »

لم يبد أى تعبير على وجهها المجعد للحظة .. ثم تقلصت شفتاها :

- « هل تعنى أنك رتبت موتك ؟ لكن هذا مستحيل .. هذا ينقض القانون الثالث .. »

- « لا .. لقد اخترت بين موت جسدى وموت إلهامى ورغباتى .. لو تركت جسدى يحيا مقابل موت ما هو أهم .. فهذا ينقض القانون الثالث .. »

مدت يدها تعتصر ذراعه ، وهتفت :

- « (أندرو) .. هذا لن يصلح .. أعد الوضع لما كان عليه .. »

ـ « مستحيل .. لقد حدث أذى كثير .. لم يعد لدى إلا عام أحيا فيه .. سأرى العيد المائتين لتركيبى .. »

ـ « أنت أحمق يا (أندرو) .. الأمر لم يكن يستحق هذا .. »

ـ « لو جلب لى هذا البشرية فهو يستحق .. لو لم يجلبها فلسوف ينهى عذابى .. وهذا يستحق كذلك .. »

هنا فعلت (لى سنج) شيئًا أثار دهشتها ، هى نفسها..

لقد بدأت تبكى..



-٢٢-

كان غريبًا أن ترى كيف أشعل هذا الفعل خيال العالم .. لقد قبل (أندرو) الموت كي يصير بشريًا .. وكانت التضحية أقوى من أن يتم نبذها.

تم إعداد المراسم الأخيرة للعيد المائتين . وكان على رئيس العالم أن يوقع على الأمر ويجعل رغبة الناس قانونًا . سوف تذاع المراسم وتبث إلى المستعمرات القمرية والمريخ ذاته.

كان (أندرو) فى مقعد متحرك ؛ لأنه لم يعد يقدر على المشى.

قال الرئيس :

- « منذ خمسين عامًا احتفلنا بك باعتبارك الروبوت الذى بلغ ١٥٠ عامًا .. اليوم نحتفل بمائتى عام .. »

ابتسم (أندرو) ، ومد يده يصافح الرئيس..

★ ★ ★

-٢٣-

راحت أفكاره تتلاشى وهو راقد في الفراش .. راح يحاول استجماعها .. إنه الآن رجل .. رجل !

ود أن تكون هذه آخر فكرة لديه ، وأن يموت بها ..

فتح عينيه لآخر مرة فرأى (لى سنج) تنتظر فى حزن . الآخرون كانوا هناك ، لكنهم بدوا كظلال .. فقط كانت هى واضحة أمام الخلفية الرمادية.

مد لها يده فى وهن .

كانت صورتها تخبو بينما أفكاره تتلاشى .. لكن فكرة واحدة جاءته قبل أن يتوقف كل شىء ..

ـ « الآنسة الصغيرة .. »

قالها بصوت خافت لا يمكن لأحد أن يسمعه.

[تمت]

هبوط الليل (*)

لو كانت النجوم لا تبزغ إلا ليلة واحدة كل ألف عام ..

فكيف للبشر أن يتوارثوا عبر الأجيال ذكرى مدينة الرب ؟

(إمرسون)

★ ★ ★

مط (أتون ٧٧)(**) رئيس جامعة (سارو) شفة سفلى عدوانية ، وحدق فى الصحفى الشاب مغضبًا ، لكن (ثيرمون ٧٦٢) تجاهل هذا الغضب .. فى شبابه عندما كان عاموده واسع الصيت مجرد فكرة مجنونة فى ذهن مراسل صحفى يفتقر للخبرة ، كان مختصًا بالمقابلات (المستحيلة) .

(★) لنلاحظ التالى لفهم القصة : هذا الكوكب المدعو (لاجاش) لديه عدة شموس لهذا لم ير الظلام قط ، ولهذا لم يحتج سكانه إلى اختراع الضوء الصناعى .. لنفس السبب لا يعرف أحد على هذا الكوكب أى شىء عن النجوم .

(★★) الأسماء ذات إيحاء خاص فى هذه القصة ، فأتون هو إله الشمس عند الفراعنة ولاتيمر هو تنويع على **Late timer** أى (الذى يأتى آخر الزمان) .

كلفه هذا كدمات وعظامًا مهشمة ، لكنه كذلك منحه رصيدًا لا ينفد من البرود والثقة بالنفس ؛ لذا تجاهل اليد الممدودة نحوه وراح ينتظر حتى ينتصر الرئيس المسن على غضبه .

علماء الفلك غريبو الأطوار على كل حال ، ولو كانت تصرفات (أتون) فى الشهرين الأخيرين تعنى شيئًا ، فإن (أتون) هذا هو أغرب الجميع.

قال العالم الذى لم تفارقه براعته اللفظية :

ـ « سيدى .. إنك لتظهر ضغينة جهنمية ؛ إذ تأتى لى بهذا الاقتراح الصفيق ... »

هنا تدخل (بيناى ٢٥) المصور التلسكوبى أجش الصوت ، بعد ما بلل بطرف لسانه شفتيه الجافتين ، وقال :

ـ « لكن سيدى .. بعد كل شىء ... »

استدار له الرئيس ورفع حاجبًا أبيض ، وقال :

ـ « (بيناى) .. لا تتدخل .. سأفترض أنك جلبت هذا الرجل هنا بنية حسنة .. لكنى لن أتحمل المزيد من العصيان الآن .. »

قال (ثرمون) :

- « لو تركتنى أكمل كلامى أيها الرئيس (أتون) فإننى ... »

- « لا أصدق أيها الشاب أن أى شىء تقوله يبرر ما تكتبه فى عامودك اليومى طيلة شهرين .. لقد تزعمت حملة شرسة ضدى وضد أصدقائى ، فى محاولتنا لإقناع العالم بتفادى الكارثة التى لم يعد ممكنًا تفاديها الآن .. لقد بذلت ما بوسعك كى تجعلنا محط السخرية .. حتى شخص فى صفاقتك كان يجب أن يفكر قبل أن يأتى لى طالبًا مساعدته فى تغطية ما سيحدث .. من بين كل الناس .. أنت!! »

وألقى (أتون) بالجريدة على الأرض واتجه إلى النافذة وقد عقد يديه خلف ظهره . ونظر للسماء حيث (جاما) أكثر شموس الكوكب الست سطوعًا يتألق للمرة الأخيرة . وكان يعرف أنه لن يراه مرة أخرى كرجل عاقل .

ثم قال :

- « انتظر .. سأعطيك قصتك .. »

دنا منه الصحفى فأشار له خارج النافذة ، وقال :

- « من بين الشموس الست لم يبق إلا (بيتا) .. هل تراه ؟ »

لم يكن للجواب أهمية لأن (بيتا) كان فى الأفق فعلاً . وقد أغرق المنظر بضوء أرجوانى بعدما مات (جاما) . كان (بيتا) فى نقطة الأوج وأصغر من أى وقت سابق ، وفى هذه اللحظة كان يسيطر على سماء (لاجاش) وحده . لقد صار (بيتا) القزم الأحمر وحيدًا .. وحيدًا تمامًا ..

قال (أتون) :

- « خلال أربع ساعات تنتهى الحضارة كما عرفناها ... »

وابتسم فى جهامة ، وقال :

- « انشر هذا .. لن تجد وقتًا حتى يقرأه قارئ واحد ! »

من جديد حاول (بيناى) أن يتكلم فأسكته الرئيس ، فتململ خمسة الأعضاء الباقين فى المرصد الذين ظلوا فى حالة من الحياد الحذر .

قال الصحفى :

ـ « ما هى المشكلة فى أن أبقى هنا لأراقب ما سيحدث كشاهد عيان ؟ لو صحَّ تخمينك فلن يـؤذى وجودى أحدًا .. لأن عامودى لن يكتب .. لو لم يحدث شىء فعليك أن تتوقع السخرية أو ما هو أسوأ .. من الأفضل أن تتولى السخرية أيد صديقة .. »

خنفر (أتون) وقال :

ـ « هل تعنى يديك بعبارة (أيد صديقة) ؟ »

ـ « بالطبع ! لقد منحتكم دومًا مزية الشك برغم أن مقالاتى كانت حادة .. إن الناس تصدم عندما تجد أن العلماء يتكلمون بذات لسان العرافين : إن نهاية العالم قريبة .. هذا يضايقهم ... »

قاطعه (أتون) :

ـ « لا شىء من هذا يا بنى .. الحقائق هى الحقائق .. هناك حقائق وراء الأساطير .. لقد جردناها من غموضها .. دع الجمهور يغضب ... »

ـ « وماذا عن الغد ؟ »

ـ « لن يكون هناك غد ! »

ـ « فلنفترض جدلاً أن هناك غدًا .. سوف تنشأ عواقب خطيرة .. لقد تدهور (البيزنس) فى الشهرين الماضيين .. المستثمرون لا يثقون تمامًا فى موضوع نهاية العالم هذا لكنهم يفضلون أن يبقوا أموالهم حتى تنتهى هذه الأزمة .. حتى موضات الربيع تأخرت إلى أن يتضح الأمر .. لو انتهى الأمر على خير ، لقالوا إنه لو استطاع حمقى مثلكم ـ واغفر لى وقاحتى ـ أن يفسدوا اقتصاد الكوكب متى أرادوا ، عن طريق نبوءات مخبولة ، فإن على الكوكب أن يمنعهم .. سوف يتطاير الشرر فى كل مكان يا سيدى .. »

ـ « وماذا تقترحه أنت وقتها ؟ »

ـ « الأمر لن يكون سهلاً .. سأحاول أن أظهركم كمجموعة من المخابيل .. سأجعل الناس يضحكون عليكم ، وبهذا ينسون أن يغضبوا عليكم .. سوف يحلُّ الضحك محل الغضب .. بوسعى أن أفعل هذا ، لكن كل ما يريده ناشرى هو قصة حصرية .. »

هنا تدخل (بيناى) :

ـ « سيدى .. إن معه كل الحق .. فى الشهر الماضى عملنا حسب كل شىء إلا احتمال واحد فى المليون أن نكون مخطئين .. يجب أن نعد لهذا الاحتمال .. »

غمغم الرجال موافقين وبدا (أتون) كرجل وجد فمه مليئًا بمذاق مر لكنه لا يستطيع الخلاص منه.

ـ « يمكنك البقاء هنا لكن تذكر أننى المسئول عن كل شىء هنا .. وبرغم آرائك الوقحة فى عامودك فإننى أتوقع كل المسئولية وكل الاحترام .. »

كانت يداه خلف ظهره ورأسه مندفعًا للأمام وهو يتكلم .. وكان ليتكلم للأبد لولا دخول صوت جديد ..

ـ « مرحبًا ! »

كان صوتًا من نغمة التينور العالى .. واتسع ثغر القادم الجديد فى ضحكة مشرقة :

ـ « ما هذا الجو الشبيه بالمشرحة ؟ آمل أن أحدكم لم يفقد أعصابه .. »

نظر (أتون) فى رعب ، وقال بتعاسة :

ـ « ماذا تفعل هنا بحق السماء يا (شيرين) ؟ ظننتك ستنتظر فى المخبأ .. »

ضحك (شيرين) وألقى بجسده القصير البدين على مقعد ، وقال :

ـ « ليذهب المخبأ للجحيم ! لقد أثار مللى .. أردت أن أكون هنا حيث الأمور ساخنة .. أريد أن أرى تلك النجوم التى يحكى عنها الكهنة .. دعك من أن العالم النفسى لا يساوى شيئًا لو قبع فى المخبأ .. »

وأضاف فى لهجة أكثر تعقُّلاً :

ـ « الهواء بارد بالخارج .. يمكن للريح أن تجعل أنفك يتجمد .. لم يعد (بيتا) يعطى أى دفء .. وليس بوسعى عمل شىء مفيد لأننى بدين .. مائة رطل أثقل من الوزن المطلوب لأكون مكافحًا .. كما إننى لا أصلح لتربية الأطفال .. فلماذا أثقل عليهم بفم جديد ؟ »

سأله (ثرمون) :

ـ « وما هو المخبأ ؟ »

بدا أن (شيرين) يلاحظ المراسل للمرة الأولى ، فقال :

ـ « ومن أنت يا ذا الشعر الأحمر ؟ »

قال (أتون) :

ـ « هـذا ثرمـون ٧٦٢ .. المراسـل الصحفـى .. أحسبك تعرفه جيدًا ! »

قال (شيرين) :

ـ « المخبأ هو مكان وضعنا فيه أفـراد أسرنا .. البعض من الخارج .. العدد الكلى حوالى ٣٠٠ .. لكن ثلاثة أرباعه نساء وأطفال .. عندما يجن البشر ، وتشتعل المدن الكـبرى ولا تسمح البيئة بالحياة .. »

قال (أتون) :

ـ « الأهم أن عندهم سجلاتنا ما عدا ما سنسجله اليوم .. »

كـان الرجـال جالسين حـول المنضدة يلعبـون الشــطرنج التعددى .. هنا دنا (ثرمون) من (أتون) وقال له :

ـ « لنقصد مكانًا آخر لا نزعج فيه الباقين .. لدى أسئلة أريد طرحها .. .. »

قطب عالم الفلك العجوز وحده لكن (شيرين) تحمس وقال :

ـ « بالطبع .. الكلام مفيد .. كان (أتون) يكلمنى عن خطتك فى حالة فشل نبوءاتنا ، وقد وجدت كلامك منطقيًا .. إننى أتابع عامودك وأحب ما تكتبه .. »

وانتقل الرجال للغرفة المجاورة التى كانت تتمتع بمقاعد أكثر نعومة ، وستائر حمراء بينما أضواء (بيتا) الطوبية تتسلل للداخل .. مما جعل التأثير كأنه دم جاف.

قال (ثرمون) :

ـ « سأدفع أى شىء مقابل بعض الضوء الأبيض لثوان .. أتمنى لو كان (جاما) أو (دلتا) فى السماء .. »

قال (أتون) :

ـ « أرجو أن تسأل لأن الوقت محدود جدًا .. »

انحنى (ثرمون) للأمام ، وعقد يديه على صدره ، وقال :

ـ « هلا يمكنكم أن تشرحوا لى الأمر بوضوح ؟ »

انفجر فيه (أتون) :

- « هل تعنى أنك كنت تقصفنا بهذه السخرية من دون أن تعرف ما نحاول أن نقوله ؟ »

فى تواضع هز الصحفى رأسه ، وقال :

- « ليس بهذا السوء يا سيدى .. إن لدى فكرة عامة .. تقولون إن الظلام سيعمُ الكوكب خلال ساعات وإن البشر سيجنون .. ما أريده الآن هو السند العلمى وراء هذا .. »

قال (شيرين) :

- « حتى لو كان (أتون) يملك المزاج الرائق لذلك ، فلسوف يمطرك بأرقام ومعادلات لا تعرف لها رأسًا من ذيل .. لو سألتنى لأخبرتك بوجهة نظر الرجل العادى .. »

قال (ثرمون) :

- « حسن .. أنا أسألك .. »

- « أنت تعرف قطعًا أن تاريخ الحضارة فوق (لاجاش) له صفة دورية .. دورية ! »

- « أعرف .. هذه هى النظرية الأثرية الحالية ... هل قبلتموها كحقيقة ؟ »

ـ « نوعًا .. لقد وجدنا آثار تسع حضارات هنا .. كلها بلغت الذروة ثم دمرت بفعل النيران فى ذروة ثقافتها .. ولم يستطع أحد أن يعرف السبب .. لم يبق شىء من مراكزها الثقافية ليخبرنا بما حدث .. »

ـ « أرى .. استمر .. »

ـ « كانت هناك تفسيرات بعضها أقرب للخيال .. البعض قال إنه كان هناك مطر نارى فى فترات دورية . والبعض قال إن (لاجاش) يعبر شمسًا من حين لآخر .. لكن هناك نظرية شديدة الاختلاف عن هذه ، وقد دامت لقرون طويلة .. »

ـ « تعنى (أسطورة النجوم) التى يحتفظ بها الكهنة فى كتبهم .. »

ـ « بالضبط .. يقول الكهنة إن كوكب (لاجاش) يدخل كهفًا عملاقًا كلما مر عليه ٢٥٠٠ عام .. فتختفى الشموس ويسود الظلام كل العالم .. ثم تظهر النجوم تسلب الرجال أرواحهم وتتركهم وحوشًا مخبولة ، ويدمرون الحضارة التى صنعوها .. بالطبع يخلطون هذا بأشياء ذات طابع دينى صوفى .. لكن هذه هى الفكرة الأساسية .. »

ساد صمت عميق لخذ فيه (شيرين) شهيقًا عميقًا ، ثم قال :

ـ « الآن نصل لنظرية الانجذاب الكونى ... »

فى هذه اللحظة خنفر (أتون) وغادر الغرفة ، فتساءل الصحفى عما هنالك .. قال (شيرين) :

ـ « لا شىء .. اثنان من الرجال تأخرا عن موعدهما .. وهو بحاجة لكل الطاقم لأن الغالبية فى المخبأ الآن .. »

ـ « أنت لا تعتقد أنهما فرا .. أليس كذلك ؟ »

ـ « من ؟ (فارو) و(ييموت) ؟ بالطبع لا .. لكن لو لم يظهرا خلال ساعة لواجهتنا بعض المشاكل .. »

ثم نهض فجأة ، وقال :

ـ « ولكن ماذا تعرفه عن الانجذاب ؟ »

ـ « لا شىء .. فيما عدا أنها نظرية حديثة .. رياضيات صعبة حتى أنه لا يفهمها إلا اثنا عشر رجلاً فى (لاجاش) .. »

ـ « كلام فارغ ! بوسعى أن أعطيك كل الرياضيات فى جملة واحدة .. النظرية تقول : إن هناك قوة جذابة بين كل الأجسام

فى الكون .. وهى تتناسب مع كتلتيهما مقسومة على مربع المسافة بينهما .. »(*)

ـ « هذا كل شىء ؟ »

ـ « كل شىء ؟ لقد احتجنا لـ ٤٠٠ سنة كى نطورها .. »

ـ « ولم ؟ يبدو الأمر بسيطًا .. »

ـ « لأن القوانين العظمى لا تأتى إلهامًا .. منذ اكتشف (جينوفى ٤١) أن (لاجاش) يدور حول الشمس (ألفا) وليس العكس ، ظل العلماء يدرسون حركة الشموس الست .. وظلت المعلومات تجمع وتطوّر وتعدّل وتبدل .. كانت مهمة شيطانية. ومنذ عشرين عامًا أمكننا إثبات أن الشموس الست تتحرك طبقًا لنظرية التجاذب .. هكذا نصل للنقطة المهمة .. تم فى العقد الأخير قياس حركة (لاجاش) حول (ألفا) ، فلم تتسق مع المدار الذى لاحظناه .. إما أن القانون لم يعد صالحًا أو هناك عامل آخر لا نعرفه .. تعثر علماء الفلك لعام كامل ، وقد اقترح كل منهم نظرية . حتى فكر (أتون) فى الاتصال بالكهنة .. زعيمهم (سوره) كان يعرف معلومات سهلت المهمة ..

(★) فى الواقع هذه هى قوانين (نيوتن) .. لكننا فى (لاجاش) ولسنا على الأرض !

.. « ماذا لو كان هناك جسم كوكبى غير مضىء مثل (لاجاش) ؟ ما كان ليسطع إلا بانعكاس الضوء .. فلو تكون فقط من الصخور السود ؛ لجعله وهج الشموس فى السماء غير مرئى .. »

صفر (ثرمون) :

ـ « يا لها من فكرة مجنونة ! »

ـ « تحسب هذه فكرة مجنونة ؟ إذن اسمع هذه .. لنفترض أنه يدور حول (لاجاش) بطريقة تفسر بالضبط انحراف مدار (لاجاش) ؟ هل تعرف ما سيحدث ؟ أحيانًا يعترض هذا الجسم الشمس .. من ثم يحدث الخسوف .. هذا الجسم سوف يكون سبعة أضعاف القطر الظاهرى لـ (بيتا) من ثم يحدث الخسوف ويستمر نصف يوم .. هذا الخسوف يحدث كلما مر ٢٠٤٩ عامًا .. »

قال (ثرمون) فى خيبة أمل :

ـ « وهذه هى قصتى ؟ »

هز العالم النفسى رأسه ، وقال :

ـ « هى كلُها .. أولاً الخسوف الذى سيبدأ خلال ربع ساعة .. ثم إظلام كونى عام .. ثم ربما تظهر تلك النجوم الغامضة .. ثم يعم الجنون وتنتهى الدورة .. لقد حاولنا إقناع (لاجاش) على مدى شهرين .. لم يكن قرنان كافيين لنا .. على كل حال إن وثائقنا فى المخبأ .. وعندما تأتى الدورة التالية ربما يصدق البشر القصة ويتأهبون لها .. »

اهتزت الستائر على النوافذ ؛ إذ انحنى (ثرمون) يطل على الخارج ... ثم استدار فجأة ليقول :

ـ « وأى شىء فى الظلمة يدفع للجنون ؟ »

ابتسم (شيرين) لنفسه ، وقال :

ـ « هل جربت الظلام من قبل أيها الشاب ؟ »

استند الصحفى على الجدار ، وفكر :

ـ « لا ... لكنى أعرف ما هى .. إنها .. لا ضوء .. مثل الكهوف .. »

ـ « هل دخلت كهفًا من قبل ؟ »

ـ « بالطبع لا ! »

- « أنا جربت الأسبوع الماضى ، لكنى خرجت مذعورًا .. لقد توغلت حتى صار ثغر الكهف باهتًا يحيطه السواد .. لم أحسب بوسع رجل فى وزنى أن يركض بهذه السرعة .. »

- « ما كنت لأجرى كما فعلت أنت .. »

نظر له (شيرين) ، وقال :

- « لا تقل كلامًا أكبر منك .. أتحداك أن تجذب الستار .. »

- « وما الغريب فى هذا ؟ لدينا أربع أو خمس شموس .. ربما كان من المريح أن نخفض الإضاءة قليلاً .. »

اتجه (شيرين) إلى الستار الأحمر الكثيف فأسدله على النافذة .. أصدرت الحلقات المعدنية هسيسًا ، وهى تنزلق على القضيب ثم امتلأت الحجرة بشىء داكن ..

دوى صوت خطوات (ثرمون) المترددة على الأرض ثم توقفت .. وقال :

- « لا أراك يا سيدى .. »

- « تحسس طريقك .. »

كان المحرر يلهث الآن بصوت خشن .. وقال :

ـ « لا أرى أى شىء .. »

ـ « ماذا كنت تتوقع ؟ الآن تعال واجلس .. »

دوى صوت خطوات .. ثم صوت من يجلس إلى مقعد .. وجاء صوت (ثيرمون) :

ـ « أنا .. أنا .. بخير .. »

ـ « هل أحببت هذا الشعور ؟ »

ـ « شعرت بأن الجدران .. الجدران تطبق علـى ..أشعر برغبة فى أن أدفعها بعيدًا عنى .. لكن الشعور ليس بهذا السوء .. لم أفقد عقلى .. »

ـ « الآن افتح الستائر من جديد .. »

مد (ثرمون) يده يتحسس .. أخيرًا دوى صوت الستار وهو ينزلق فوق الحلقـات ودخـل الضـوء الأحمـر الغرفـة .. وأطلق (ثرمون) صيحة فرح وهو يرى الشمس ..

قال (شيرين) :

ـ « كان هذا نموذجًا للظلام .. »

- « يمكن تحمُّله .. »

- « أنت تعتقد هـذا .. الطفل يولـد ولديه ثلاثـة مخـاوف غريزيـة : الخـوف مـن السقوط .. الخـوف مـن الأصـوات العاليـة .. والخوف مـن الظلام .. أنـت جرَّبـت الحالـة التـى وصفتها بأنها خوف من أن تنغلق الجدران عليـك .. اسمها العلمـى هو (كلوستروفوبيا) claustrophobia .. غيـاب الضوء يرتبط بالسجن داخـل أمـاكن ضيقـة ... لـو اسـتمر المؤثر يحدث ما نسميه بـالتثبيت الكلوستروفوبى .. خمس عشرة دقيقة تكفى للجنون .. »

تجعد جبين (ثرمون) وساد الصمت ، ثم قال :

- « لا أحسب الأمور بهذا السوء .. »

- « بل أنت خائف من أن تصدق .. انظر من النافذة .. »

صدع (ثرمون) بالأمر ، فقال الخبير النفسى :

- « تخيَّل الظلام فى كل مكان .. لا ضـوء .. الأشـجار .. الحقول .. السماء .. كل شىء أسود ! هل تتصور ؟ »

- « أتخيل .. »

ضرب (شيرين) المنضدة بقبضته وصاح بغضب :

ـ « أنت تكذب !!! مخك لم يعد لفهم هذا ، كما أنه لم يعد لفهم اللانهاية أو الأبدية .. حين يأتى الشىء الحقيقى فلسوف تفقد قدراتك العقلية بشكل دائم .. وبشكل غير قابل للإصلاح .. غدًا لن تكون هناك مدينة سليمة فى (لاجاش) .. »

ـ « ما زلت لا أفهم .. حتى لو لم توجد شمس فى السماء فما خطر هذا على المدن ؟ هل سنفجرها ؟ »

غضب (شيرين) وقال :

ـ « لو كنت فى الظلام فما أول شىء ستفكر فيه ؟ .. اللعنة عليك .. ما الذى ستطالب به كل غريزة لديك ؟ ستفكر فى الضوء ! فى الضوء ! »

ـ « حسن .. »

ـ « وكيف تحصل على الضوء من دون شمس ؟ »

ـ « لا أعرف .. »

- « بالنار يا مستر .. الحرارة ليست الشىء الوحيد الذى تمنحك النار إياه .. ألم تر حريق غابات من قبل ؟ سوف يحرقون كل شىء ! »

وتلاقت العيون كأن الموضوع مسألة شخصية تتعلق بالاحترام .. فى النهاية انهزم (ثرمون) وخفض عينيه ..

سمعا صوتًا من وراء الباب فقال (شيرين) :

- « أعتقد أن هذا (فارو) و(ييموت) .. تعال نعرف سبب تأخرهما .. »

- « ليكن .. »

قالها (ثرمون) ، وهو يأخذ شهيقًا عميقًا ...

كانت الغرفة صاخبة ، تعج برجال الطاقم يحتشدون حول رجلين ينزعان ثيابهما وفى الوقت ذاته يجيبان عن خليط من الأسئلة ينهال عليهما.

اندفع (أتون) عبر الزحام ، وواجه القادمين فى غضب :

- « هل تفهمان أنه بقى نصف ساعة قبل نهاية الموعد ؟ أين كنتما ؟ »

جلس (فارو) يفرك يديه ، وقد احمر خداه من البرد بالخارج وقال :

ـ « (يموت) وأنا فرغنا من تجربة مجنونة قمنا بها وحدنا .. أردنا أن نرى ما إذا كان بوسعنا تقليد الظلام والنجوم لنأخذ فكرة عن مظهرها .. »

تعالى لغط حائر من القوم ، ونظرة اهتمام فى عينى (أتون) :

ـ « لم يكن هناك كلام عن شىء كهذا من قبل .. »

قال (فارو) :

ـ « الفكرة جاءتنا منذ زمن . كان (بيموت) يعرف بيتًا من طابق واحد فى البلدة له سقف يشبه القبة ، وكان يستعمل كمتحف .. لقد ابتعناه من حسابنا المصرفى الذى لن تعود له قيمة صباح غد .. وقد فرشنا البيت بالقطيفة السوداء من أسفله لأعلاه كى يصير كالظلام ... ثم صنعنا ثقوبًا فى السقف وغطينا الثقوب برقائق معدنية تنفتح لدى تحريك محول .. هكذا صار بوسعنا الحصول على تأثير النجوم .. كنا خائفين من أن يقودنا التأثير للجنون .. حسب

كلام (شيرين) .. خطر لنا أنه لو تحملنـا التجربـة فلسوف نكتسب مناعة ضد الخطر الحقيقى .. ويمكننــا أن نجعل الآخرين يمرون بذات التجربة .. لكـن الأمـور لـم تسـر كمـا توقعنا .. »

- « لماذا ؟ ماذا حدث ؟ »

- « جلسنا فى الظلام وحاولنا أن نعتـاده وهو شعور مرعب فعلاً .. ثم فتحنا المحول فتألق السطح فوقنا بآلاف الأضـواء الصغيرة .. »

- « ثم ؟ »

- « ثم لم يحدث شىء .. مجرد سطح مثقوب .. لا يوجد تأثير برغم أننا جربنا التجربة مرارًا .. »

ساد الصمت ، ونظرت الأعين نحو (شيرين) الذى جلس فاتحًا فمه.

كان (ثرمون) أول من تكلم .. وكان يضحك فى ارتياح :

- « تعرف ما يعنيه هذا بالنسبة لنظريتك كلها يا (شيرين) ؟ »

قال (شيرين) رافعًا يده :

ـ « لحظة .. دعونى أفكر .. »

فجأة دوى صوت معدنى من أعلى ، فنهض (بيناى) وانطلق يصعد الدرجات ، وهو يصيح :

ـ « ماذا بحق السماء ؟ »

استغرق الأمر لحظة ليلقى نظرة على اللوحات الفوتوغرافية والرجل المنحنى فوقها ، ثم انقض على المتطفّل وأطبق بيده على حنجرته .. وسرعان ما لحق به الباقون .. ودفن الدخيل تحت ثقل ستة رجال غاضبين .

لحق بهم (أتون) فقال لاهثًا :

ـ « أطلقوا سراحه .. »

أنهضوا الغريب اللاهث الذى تمزقت ثيابه .. كانت له لحية صفراء ملتفة على طريقة الكهنة ، فهزه (بيناى) فى حدة وهتف :

ـ « حسن أيها الفأر .. ماذا تريد من هذه الألواح ؟ »

قال الكاهن :

ـ « لم آت من أجلها .. هذا مجرد حادث .. »

هتف (أتون) وهو يقترب من الكاهن :

- « أنت (لاتيمر) .. أليس كذلك ؟ »

انحنى الدخيل وأشار إلى علامة على حرقفه ، وقال :

- « أنا (لاتيمر ٢٥) .. معاون من الطبقة الثالثة لصفائه .. (سور ٥) .. »

- « وكنت مع صفائه حينما زارنى الأسبوع الماضى .. أليس كذلك ؟ وماذا تريد ؟ »

- « لا شىء مما يمكنك أن تمنحنى إياه بكامل إرادتك .. »

- « هل هناك آخرون قادمون ؟ »

- « لن أجيب عن هذا السؤال .. »

نظر (أتون) لساعته وقال :

- « لقد أنهيت دورى من الصفقة فماذا يريد سيدك منى ؟ لقد علمت منكم بعض الأسرار وإننى لأشكركم على هذا ، لكنى كذلك أقوم بدورى فى إثبات صحة عقيدتكم بشكل علمى .. »

انحنى الرجل فى تصلُّب ، وقال :

ـ « عقيدتنا لا تحتاج إلى إثبات .. شكرًا لك .. أنت برهنت على أن عقيدتنا لا لزوم لها .. قلت إن الظلام والنجوم ظواهر طبيعية لا دخل لها بديننا .. وهذا كفر صريح .. »

ـ « وما ذنبى ؟ الحقائق موجودة .. فهل أنكرها ؟ »

ـ « محاولتك لجمع الحقائق بوساطة أجهزتكم الشيطانية .. هذا تخريب لعقيدتنا .. وإننى نادم على خرقى الذى جعلنى أفضح نفسى قبل أن أدمر كل أجهزتكم .. »

التفت (أتون) للرجال حوله ، وقال :

ـ « فليطلب أحدكم شرطة (سارو) .. »

صاح (شيرين) فى ضيق :

ـ « تبًا يا (أتون) .. لا وقت لهذا .. دع هذا الفتى هنا ، ولسوف يعطيك وعد شرف ألا يضايقنا إلى أن يغيب ضوء (بيتا) .. »

قال الكاهن :

ـ « لو كان الأمر يتعلق بالشرف فإننى أعدكم أن أتلف أجهزتكم فى أول فرصة تتاح لى .. لو كنت تريد كلمة شرف فمن الأفضل أن تطلب الشرطة لى .. »

قال له (شيرين) :

- « أنت رجل صلب حقًا ..سأخبرك بما ننوى عمله أنا وهذا الشاب الوسيم عند النافذة .. سنوسعك ضربًا ثم نسجنك فى خزانة مغلقة طيلة فترة الخسوف .. »

قال الكاهن :

- « وطبعًا لن تخرجنى .. أنا أعرف هذا .. سوف تجنون ولن يخرجنى أحد .. هو الجوع إذن أو الاختناق .. لكننى لن أعطيكم كلمتى .. هذه مسألة مبدأ .. »

كان الضغط النفسى شديدًا .. (شيرين) يمارس كل أساليب الضغط النفسى التى يجيدها كعالم نفسى ، خاصة أن الرجل يعتقد أنه لو لم ير النجوم فروحه هالكة .. هكذا خضع فى النهاية وأعطى كلمته بأنه لن يحاول تخريب شىء ..

هنا صاح (ثرمون) وهو يشير إلى السماء شاحب الوجه :

- « انظر لهذا !! »

نظر الجميع فى رعب إلى حيث أشار ...

لقد كان (بيتا) مكسورًا فى جانب منه !

كانت الظلمة فى اتساع ظفر اليد ، لكنها بدت عملاقة بالنسبة لمن يراقبون .

للحظة راقبوا ما يدور فى هلع ، ثم انطلق كل رجل لأداء مهمته المرسومة .. لا وقت للعاطفة .. إنهم علماء لديهم ما يقومون به ..

جذب (شيرين) (ثرمون) من النافذة وابتعدا على أطراف أصابعهما وهو يقول :

ـ « (أتون) غاضب .. لذا ابتعد عنه .. لقد فقد متابعة بداية الظاهرة نتيجة هذه المشادة مع (لانيمر) .. ولو وقفت فى طريقه لألقى بك من النافذة .. »

جلس (ثرمون) فنظر له (شيرين) فى دهشة :

ـ « يا للشيطان ! أنت ترتجف يا رجل ! »

ـ « هه ؟ لا اشعر بأننى على ما يرام .. »

ولعق شفته السفلى الجافة . وأردف :

ـ « أنا لم أصدق هذا الهراء فى أعماقى حتى دقيقة فاتت .. أعطنى لحظة أستجمع فيها أعصابى .. »

ـ « هل لديك أسرة ؟ »

ـ « تعنى المخبأ ؟ لدى أخت لكنها على بعد ألفى ميل .. لا أعرف حتى عنوانها بدقة .. »

ـ « وماذا عنك أنت ؟ »

ـ « أصغ لى يا سيد .. انا صحفى مكلف بمهمة .. ولسوف أنفذها .. والآن قل لى : كيف احتفظ الكهنة بذكرى ما سيحدث ما دام الجميع يجنون فى كل دورة ؟ »

قال (شيرين) :

ـ « لن يجن الجميع ... هناك الأطفال أقل من ست سنوات .. هؤلاء لديهم فكرة واهية عن العالم ، وسوف يتحمّلون ما سيحدث .. هناك المعتوهون .. هناك الفلاحون محدودو الذكاء .. من ذكريات هؤلاء يتكون كتاب الكهنة الذى يؤمنون به .. وهو كتاب يعتمد على شهادة آخر من يصلحون شهودًا .. وقد تمّ تنقيحه جيلاً بعد جيل ... هل تذكر التجربة التى ... .. »

ثم قطع حديثه لأن (أتون) دخل المكان ووجهه يحمل الكثير من الهلع ..

ـ « ماذا حدث ؟ »

شده (أتون) إلى جانب ، وقال له همسًا :

ـ « لقد تلقيت رسالة على الخط الخاص من المخبأ .. »

سأله (شيرين) فى رعب :

ـ « هل هم فى مشكلة ؟ »

ـ « ليسوا هم .. لقد أغلقوا على أنفسهم وسوف يظلون هناك حتى بعد غد .. لكن المدينة .. لقد صارت مجزرة .. ليس بوسعك أن تصدق .. »

ـ « كنت تتوقع ذلك فما الذى ...؟ »

ـ « أنت لا تفهم .. الكهنة ثائرون وهم يحركون الناس ضد المرصد ... ويعدونهم بالنعيم الدائم .. يعدونهم بالخلاص وكل شىء ... ماذا سنفعل يا (شيرين) ؟ »

أطرق (شيرين) وراح يرمق حذاءه .. وقال :

ـ « نفعل ؟.. لا يوجد ما نفعله .. سوف يحتاجون لوقت كى يجمعوا عصبة معقولة .. وسوف يحتاجون لوقت ليصلوا لنا ، فنحن على بعد خمسة أميال من المدينة .. لندع الله أن يتم اكتمال الخسوف قبل هذا .. »

الآن لم يعد من (بيتا) إلا النصف ... بدا الأمر كأنه جفن عملاق ينغلق على عين العالم . جلس (شيرين) شاعرًا بأنه عاجز عن التنفس ... دس إصبعًا تحت ياقته وحاول التنفس ثم سأل (ثرمون) :

ـ « هل تلاقى صعوبة فى التنفس ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « إذن .. بدأ الشىء يصيبنى .. إن صعوبة التنفس أولى علامات (الكلوستروفوبيا) .. »

هنا دخل (بيناى) وطلب أن يسمحا له بالجلوس .. لقد أعد الكاميرا وليس لديه ما يعمله حتى الاكتمال .. ثم نظر إلى الكاهن الذى أخرج كتيبًا صغيرًا من كمّه وراح يقرأ فيه .. سألهما :

ـ « هذا الفأر لا يحدث مشاكل ؟ »

لم يرد (شيرين) وإنما عاد يسأل :

ـ « هل تعانى صعوبة تنفسية يا (بيناى) ؟ »

تشمم هذا الأخير الجو ، وقال :

ـ « لا أشعر بشىء .. ما أشعر به هو أن عينى تتقلبان للداخل .. الرؤية مضطربة والطقس بارد .. »

قال (ثرمون) :

ـ « برد فعلاً .. لا وهم فى هذا .. أشعر كأن قدمى شحنتا عبر البلاد فى شاحنة مثلجة .. »

قال (بيناى) :

ـ « أحيانًا أفكر فى أنه قد توجد فى الكون شموس أخرى .. وهذه الشموس تقع بعيدًا جدًّا عنا .. ربما على بعد سنوات ضوئية عدة .. ربما عددها دستة .. يبدو أننى قرأت الكثير من تلك القصص الخيالية .. هذه الشموس سوف تكون مجرد نقاط وهى على هذا البعد .. أثناء الخسوف سوف تصير هذه الشموس مرئية ؛ لأنه ما من ضوء شمس يخفيها .. الكهنة يتكلمون عن ملايين منها ، وهذه مبالغة على الأرجح .. لا مكان فى الكون لهذا الزحام ما لم تمس هذه الشموس بعضها .. »

أصغى له (شيرين) باهتمام ، وقال :

ـ « لقد لمست شيئًا مهمًا يا (بيناى).. . أنت تعرف أن عقولنا لا تستوعب أعدادًا أكثر من خمسة .. أكثر من هذا

لا يبقى إلا مفهوم (عديد) .. بهذا تصير دستة نجوم ملايين منها لدى الكهنة .. .. »

- « بل أفكر أحياناً فى أن تكون هناك شمس واحدة يدور حولها كوكب واحد .. هنا تسرى قواعد الانجذاب بسهولة .. لابد أن سكان كوكب كهذا وصلوا لقواعد الانجذاب قبل لاختراع التلسكوب .. لكن المشكلة مع شمس واحدة أن هذا الكوكب لن ينال ما يكفى من ضوء وحرارة .. لو دار حول نفسه لقضى نصف اليوم فى الظلام ...لا يمكن أن تتصور نشوء حياة تعتمد كلية على الضوء على هذا الكوكب .. .. »

هنا صاح (شيرين) مقاطعًا :

- « (أتون) جلب الضوء .. »

ونظروا بارتياح إلى الرئيس الذى دخل حاملاً دستة من القضبان طول الواحد قدم وسمكه بوصة ، وطلب من (شيرين) أن يعاونه . هكذا راح الرجلان يثبتان القضبان إلى أماكن مخصصة لذلك فى الجدار.

وبتقديس غريب حك (شيرين) ثقابًا مضحك الشكل ثم ناوله لـ (آتون) .. فراح هذا يشعل أعلى كل قضيب .

بدأ اللهب يتوهّج بعد تردد .. وعمَّ الابتهاج المكان.

هكذا اشتعلت ست شعلات فى الغرفة ، فصار ظلامها ضوءًا أصفر.

كان الضوء خابيًا وراحت الشعلات تتراقص باعثة ظلالاً سكرى متأرجحة . كان هناك سحر ما فى الضوء الأصفر بعد ساعات فى ضوء (بيتا) المحتضر ، وحتى (لاتيمر) رفع عينه عن كتابه فى دهشة.

راح (شيرين) يدفئ يده على أحد الأعواد غير مبال بالسناج الذى راح يتصاعد منه ، وقال لنفسه :

ـ « جميل .. جميل .. لم أدرك من قبل كم أن الأصفر لون جميل .. »

لكن (ثرمون) ظل يتشمم الرائحة فى دهشة .. وسأل بشك :

ـ « ما هذه الأشياء ؟ »

قال (شيرين) :

ـ « خشب .. »

ـ « لا .. إن هذه النار تخرج من لا شىء .. »

ـ « هذا هو جمال الأمر .. هذا هو الضوء الصناعى بحق .. صنعنا منها مئات لكن أكثرها فى المخبأ .. كل ما عليك هو أن تأخذ النباتات البحرية و تجففها ثم تغمسها فى شحم حيوانى ..ثم تشعل فيها النار فيحترق الشحم ببطء .. هذه الشموع ستشتعل نصف ساعة بلا توقف .. عبقرية .. أليس كذلك ؟ ابتكرها أحد شبابنا فى جامعة (سارو) .. »

جلس (لاتيمر) تحت أحد هذه الأضواء وواصل القراءة .. وهو يتحرك مع إيقاع الكلمات.

وواصل (ثرمون) كتابة ملحوظات فى مقاله الذى سينشر غدًا فى جريدة (سارو) .. كان منهمكا فى هذا حتى نسى تقريبًا أن السماء اكتست لونًا احمر مرعبًا ، كأنها ثمرة بنجر عملاقة . وازداد الهواء كثافة بشكل ما .. تسرب الغسق للغرفة فبدت دوائر اللهب حول الشعلات أكثر تحديدًا .. فقط مع صوت احتراق الخشب ورائحته . ثمة ظل لشخص يحاول فى انهماك أن يعمل .

كان (ثرمون) هو أول من شعر بهذا الصخب .. تلك الضوضاء غير المنتظمة ، الخافتة بحيث يمكن أن تمر بلا تعليق لولا الصمت فى القبة.

جلس الرجل واستبدل مفكرته . نهض وشق طريقه بين الأجهزة إلى النافذة.

تمزق الصمت عندما دوت صرخة الرعب :

ـ « (شيرين) !! »

توقف العمل ، وركض العالم النفسى إلى جواره على الفور ، ثم لحق بهما (أتون) .. حتى (بيموت ٧٠) الذى كان معلقًا فى مقعده خلف عدسة السولاروسكوب توقف ونظر لأسفل .

فى الخارج صار (بيتا) مجرد شظية محترقة تلقى نظرة أخيرة قانطة على (لاجاش) . ضاع الأفق الشرقى باتجاه المدينة فى الظلام ، وصار الدرب الأحمر من (سارو) إلى المرصد خطًا تحيط به طرق خشبية فقدت أشجاره فرديتها وصارت سورًا متجانسًا واحدًا.

لكن الطريق العام نفسه هو ما أثار الانتباه .. فعليه ظهرت ظلال أخرى منذرة بالويل .

صرخ (أتون) فى صوت مشروخ :

ـ « المجانين من المدينة ! لقد وصلوا ! »

تساءل (شيرين) :

ـ « كم بقى من وقت على الاكتمال ؟ »

ـ « خمس عشـرة دقيقـة .. لكنهم سيكونون هنا خـلال خمس .. »

ـ « لا تهتم .. دع الرجال يعملـون .. هذا المكـان يشبه القلعة .. فقط راقب الكاهن الشاب هنـا احتياطًـا ... وأنت يا (ثرمون) تعال معى .. »

وغادر (شيرين) المكان ومعه (ثرمون) . امتدّت درجات السلم أمامهمـا تدور فـى حلقـات حـول العـامود المركـزى لتتوارى فى ظلمات مخيفة.

حملهما الاندفاع إلى أسفل بحيث توارت القبـة من فوقهمـا .. فتوقف (شيرين) وتحسس صدره ... جحظت عيناه وأطلق سعلة جافة ..

ـ « لا استطيع .. التنفس ... انزل .. بنفسك ... أغلـق الأبواب .. »

هنا اندفع (ثرمون) لأسفل ثم توقف :

ـ « هلا انتظرت لحظة ؟ »

كان يلهث هو نفسه ..الهواء ثقيل يدخل ويخرج من رئتيه كأنه دبس السكر (المولاس). .. وشعر بذعر يدبُّ فى عقله وهو يتصور نفسه يشق طريقه للظلام تحته..

كان خائفًا من الظلام ، لذا راح يصعد الدرجات اثنتين فى المرة حتى وصل إلى القبة فأخذ أحد المشاعل .. واندفع عائدًا إلى الدرج واللهب يتطاير من المشعل ورائحة الدخان تعمى عينيه ، لكنه أوشك على تقبيل المشعل طربًا ..

رفع المشعل وجذب العالم النفسى المرتجف من كوعه ، وراح ينزل وسط دائرة الضوء ...

ثم همس لـ (شيرين) :

ـ « بوسعك سماعهم بالخارج .. »

كان هناك صوت خيول .. صرخات بلا صوت ..

لكنه كان محقًّا .. المرصد يشبه القلعة .. بنى من أجل الصلابة والديمومة لا من أجل الجمال .. النوافذ تحميها قضبان سميكة غائرة فى الخرسانة .. الجدران غليظة لا يمكن أن يهزها زلزال ..

أغلق (ثرمون) المزاليج فأصدرت صوت (كلانج) وهى تنغلق.

لكن مزلاج الباب الخلفى كان عديم النفع ..

ـ « لابد أن (لاتيمر) دخل من هنا .. »

صاح (ثرمون) فى نفاد صبر :

ـ « لا تبق هنا ! هات الأثاث نسد به الباب ، وأبعد هذا الدخان عن عينى .. »

دفع المنضدة الثقيلة خلف الباب وسرعان ما صنع متراسًا يفتقر للجمال لكنه شديد الصلابة .

من مكان ما يسمعان ضربات القبضات العارية على الباب ..

هذه العصابة جاءت من (سارو) وفى ذهنها شيئان : الخلاص عن طريق تدمير المرصد .. والخوف المجنون الذى شلّهم حيث هم ..

لا وقت لديهم للتفكير فى السلاح أو العربات أو حتى البحث عن قائد .. لقد جاءوا على أقدامهم ويحاولون تدمير المرصد بأيديهم العارية..

ومن فوق رءوسهم تلاشى آخر قبس لهب من (بيتا) تاركًا بشرية لم يعد لديها إلا ذعر حيوانى بدائي..

همس (ثرمون) :

ـ « لنعد إلى القبة .. »

فى القبة لم يعد من أحد فى مكانه .. الكل يلتف حول الكاميرات و(بيناى) يعطى تعليماته فى صوت منهك.

ـ « أنا الآن أصور (بيتا) قبل وضع الاكتمال .. ثم أغير لوح التعريض .. كل واحد منكم مسئول عن كاميرا واحدة .. »

غمغموا بالموافقة ..

ـ « لا تبحثوا عن تحسين اللقطات فهذا يضيع الوقت .. لا تحاولوا تصوير نجمين فى لقطة واحدة .. واحد يكفى .. وإذا شعرتم بأنكم ستفقدون الوعى اتركوا الكاميرا .. »

وعلى الباب همس (شيرين) لصاحبه :

ـ « خذنى لـ (أتون) فأنا لا أراه .. »

كانت الرؤية صعبة فعلاً .. فعلماء الفلك صاروا مجرد أشباح متراقصة ، والمشاعل صارت مجرَّد بقع صفراء .

مد (شيرين) يده يتلمس المكان وهو يصيح :

ـ « (أتون) ! »

بشكل ما شق (ثرمون) طريقه عبر الغرفة .. أغمض عينيه فى الظلام وأغمض عقله عن الذعر.

لم يبال بهما أحد .. تعثر (شيرين) واصطدم بالجدار وهو يصيح :

ـ « (أتون) ! »

شعر بيد راجفة تحتضنه ، وتقول :

ـ « هذا أنت يا (شيرين) ؟ »

ـ « نعم .. لا تخف من الدهماء .. المكان سيتماسك ضدهم .. »

نهض الكاهن (لاتيمر) وقد تقلص وجهه من اليأس .. لقد أعطى كلمته فلا يمكن التملص منها .. لكن الكلمة انتزعت منه ولم يعطها طواعية .. سوف تأتى النجوم الآن !!

لا يستطيع التحمل ..

نظر (بيناى) إلى آخر ضوء من (بيتا) ..

هنا اتخذ (لاتيمر) قراره وغرس أظفاره فى لحم قبضته من فرط التصميم ..

مشى كالمجنون مترنحًا .. لا شىء أمامه إلا الظلال .. فجأة شعر بمن يثب عليه وسقط على الأرض وأظفار تتشبث بحلقه .. ثنى ركبتيه ودفنهما بقوة فى صدر المعتدى ..

ـ « دعنى أنهض وإلا قتلتك ! »

صرخ (ثرمون) والألم يعميه :

ـ « أيها الفأر الخائن !! »

هنا كان آخر خيط من ضوء الشمس قد توارى .. وسمعوا شهقة أخيرة من (بيناى) وصرخة غريبة من (شيرين) ، ثم ساد الصمت .. وارتخت القبضة على يد (لاتيمر) ..

دنا (شيرين) من وجه الكاهن ونظر له فى ضوء المشاعل الخابى ، فرأى النظرة الخاوية والرغوة على شفتيه والأنين الحيوانى الخافت من حنجرته ..

استدار لينظر إلى السواد المخيف خارج النافذة ..

وفى الظلمة التمعت النجوم !!

ليست كنجوم الأرض الخافتة ، بل كان (لاجاش) يقع وسط حزمة نجمية كثيفة ..

نهض (ثرمون) على قدميه .. كل عضلاته تنتفض من الذعر والخوف الذى لا يحتمل ..

إنه يجن الآن .. هو يعرف هذا .. لكن بقعة تعقّل بداخله تكافح لاختراق ظلمات الذعر الأسود ..

من المرعب أن تجن وأنت تعرف هذا .. خلال لحظات سوف يظل جسدك هنا ماديًا ، لكن وعيك سوف يغيب فى الظلام ..

إنه الظلام .. البرد ... النهاية ..

جدران الكون تنطبق عليه لتهشمه ..وشعر بمن يحبو على أربع ثم يتعثر به ..

نهض باحثًا عن الضوء .. وصرخ :

ـ « ضوء !! »

وفى مكان ما كان (أتون) يبكى .. وسمعه يقول :

ـ « نجوم .. نجوم ! لم نكن نعرف شيئًا على الإطلاق .. حسبنا ستة نجوم فى الكون عددًا كافيًا .. ما كان بوسعنا أن نعرف .. »

فى هذه اللحظة كانت النجوم غير المبالية تلقى آلاف الأضواء قربهم .. وفى الأفق باتجاه مدينة (سارو) بدأ ضوء قرمزى يكبر .. يزداد قوة ...

لم يكن هذا ضوء شمس ..

كان الليل الطويل قادمًا من جديد ...

١٩٤١

المنطق

باعد (جريجورى باول) بين كلماته لتأكيدها :

- « منذ أسبوع واحد صنعتك أنا و(دونوفان) .. »

وتجعَّد حاجباه فى شك وجذب طرف شاربه البنى .

كان الجو هادئًا فى غرفة الضباط بالقاعدة الشمسية رقم ٥ فيما عدا صوت جهاز توجيه الأشعة تحتهم.

جلس الروبوت QT-1 بلا حراك(*) .. الصفائح المغطية له تلتمع والخلايا الكهرومغناطيسية الحمر التى تمثل عينيه ثابتة على رجل الأرض الجالس على الناحية الأخرى من المنضدة .

قاوم (باول) نوبة عصبية .. إن هذه الروبوتات لها عقول خاصة .. تم حساب المسارات البوزيترونية فى عقولها سلفًا وتم حذف كل احتمالات المقت أو الغضب منها .. إلا أن موديلات QT-1 كانت الأولى من نوعها ، وهذا أولها .. لذا يمكن لأى شىء أن يحدث .

(*) بهذا سينطق اسم الروبوت (كيوتى) وهو فى الوقت ذاته اسم تدليل معناه (اللطيف الصغير) .

فى النهاية تكلم الروبوت .. كان صوته يحمل البرودة التى لا تفرقها عن حاجز معدنى . وقال :

ـ « هل تدرك خطورة عبارة كهذه يا (باول) ؟ »

قال (باول) :

ـ « شىء ما غيرك يا (كيوتى) .. أنت تعترف أن ذاكرتك نمت من فراغ مطلق منذ أسبوع .. سأشرح لك السبب .. أنا و(دونوفان) ركبناك من قطع شحنت لنا .. »

نظر (كيوتى) لأصابعه فى حركة بشرية توحى بالحيرة .. وقال :

ـ « يدهشنى أن هناك بالقطع تفسيرًا أفضل من هذا ؟ أن تصنعنى أنت يبدو لى مستحيلاً .. »

ضحك الرجل ، وقال :

ـ « لمه ؟ »

ـ « سمه حدسًا .. لكننى سأستخدم المنطق ، ولسوف أصل للحقيقة .. »

جلس (باول) على طرف المنضدة شاعرًا بشفقة نحو هذه الآلة .. لم تكن كباقى الروبوتات التى تمارس عملها هنا ..

وضع يده على كتف (كيوتى) فشعر بها باردة ، وقال :

- « سأحاول أن أشرح لك .. أنت أول روبوت يشعر بفضول تجاه وجوده .. وأنت ذكى بما يكفى لفهم العالم بالخارج .. تعال معى .. »

وضغط زرًا فانفتح جزء من الجدار ليكشف السماء التى تناثرت فيها النجوم ..

قال الرجل :

- « كل واحدة من هذه البقع المضيئة شمس على مسافة بعيدة جدًا منا .. من أحد الكواكب جئت أنا و(دونوفان) وعملنا هنا أن نجمع أشعة النجوم لنرسلها إلى كوكبنا .. »

سأله (كيوتى) :

- « أية بقعة ضوء تزعمان المجىء منها ؟ »

بحث (باول) ثم قال :

- « هذه هى .. نسميها الأرض وعليها خمسة بلايين من البشر .. الأرض العجوز الطيبة ! »

- « لكنك لم تشرح لى من أين جئت .. »

ـ « الأمر سهل .. عندما أقيمت هذه المحطات كانت تدار بوساطة البشر .. إلا أن الحر والعواصف الألكترونية جعلت الحياة هنا شاقة .. تم استبدال الروبوت بالبشر فلم يعد فى هذه المحطات إلا المديرون .. كل محطة تحتاج إلى اثنين .. أنت أعلى نموذج روبوت حتى اليوم ، ولو أظهرت براعة فلن نحتاج إلى بشر هنا بعد اليوم .. »

ثم اتجه ليأخذ تفاحة ويقضمها .. فقال له الروبوت :

ـ « هل تعتقد أننى سأصدق هذه الحكاية الخرافية غير المعقولة ؟ ماذا تحسبنى ؟ »

وفى غضب غادر المكان مارًا بـ (دونوفان) ثم اختفى متجاهلاً نظرات الدهشة من خلفه .

قال (دونوفان) :

ـ « ماذا تعتقده قطعة الخردة هذه ؟ »

قال (باول) :

ـ « لا يصدق أننا صنعناه ولا يصدق أن هناك نجومًا ولا كواكب .. »

- « رباه ! معنا روبوت مخبول على هذه المحطة .. .. »

- « قال إنه سيحاول معرفة الحقيقة بنفسه .. »

- « لكن لو كلمنى بهذه اللهجة مرة أخرى فلسوف أطير هذا الرأس المدهون بالكروم من فوق كتفيه .. »

★ ★ ★

كان (دونوفان) يقضم شطيرة كبيرة يبرز منها الخس والطماطم عندما دق الروبوت الباب سائلاً عن (باول)..

- « إنه يجمع المعلومات .. فنحن متجهون نحو عاصفة .. »

هنا دخل (باول) وهو يحمل ورقًا بيانيًا .. فقال له الروبوت إنه يرغب فى الكلام معهما .. قال (باول) فى دهشة :

- « ليكن .. اجلس .. ليس هذا المقعد فله رجل مكسورة وأنت لست خفيف الوزن .. .. »

قال الروبوت :

- « لقد قضيت اليومين السابقين أفكر .. وتوصلت لهذه الحقيقة .. أنا موجود لأننى أفكر ! »

قال (باول) :

ـ « أه جميل ! (ديكارت Descartes) الروبوت .. .. »

تساءل (دونوفان) والطماطم وفتات الخبز يتساقطان من فمه :

ـ « من هو (ديكارت) ؟ »

هنا واصل الروبوت الكلام :

ـ « هنا جاء السؤال التالى .. ما سبب وجودى ؟ »

قال (دونوفان) وهو يكور قبضته :

ـ « لو لم تحب ذلك فإننى سأفكك بكل سرور .. »

مد الروبوت يديه فى إيماءة معترضة وقال :

ـ « لا أقبل أسلوب التسلط هنا .. يجب على الفرضية أن يدعمها المنطق وإلا لصارت بلا قيمة .. وإنه ليخالف كل المنطق أن نفترض أنكما صنعتمانى .. »

سأله (باول) فى صبر :

ـ « ولماذا ؟ »

- « انظرا لنفسيكما .. لا أبغى التهكم لكنكما رخـوان طريـان والمادة التى صنعتما منها لينة لا تتحمل شيئًا .. تعتمـدان على الطاقة المنبعثة من الأكسدة غير المتقنـة لمـواد عضويـة .. ومن حين لآخر تدخلان فى غيبوبة ، وأى تغير فى الحـرارة أو الرطوبة يجعلكما عاجزين .. أنتما بديل مؤقت .. أمـا أنـا فـأمتص الكهربـاء والطاقـة وأسـتغلها بكفـاءة ١٠٠٪ .. ويمكننى تحمـل أية درجـة حرارة .. هـذه حقائق .. وهنـاك حقيقة أخرى هى أنه ما من كائن حى يقدر على صنع كـائن أرقى منه ...هذا يهدم منطقكما تمامًا .. »

وثب (دونوفان) على قدميه وقال :

- « حسن .. يا بـن الحديد الخـام ! إن لم نصنعك نحن فمن صنعك ؟ »

هز (كيوتى) رأسه موافقًا وقال :

- « جميل يا (دونوفان) .. سؤال مهم .. بالتـأكيد من صنعنـى اكثر إتقانـا منـى ، وهـذا لا يـترك لنـا إلا احتمـالاً واحدًا ... ما هو مركز اهتمامنا هنا فى هذه المحطة ؟ »

التفت (دونوفان) لصاحبه ، وقال :

ـ « أراهن أن قطعة الصفيح هذه تتكلم عن محول الطاقة ذاته .. »

ـ « بل أتكلم عن السيد .. »

نظرا له فى دهشة فواصل الكلام :

ـ « السيد خلق البشر أولاً .. وهم أضعف الأنواع .. ثم خلق الروبوت .. من هذه اللحظة أنا أخدم السيد .. »

صاح (باول) فى غيظ :

ـ « سوف تؤدى عملك هنا كما طلب منك .. سوف تعنى بمحول الطاقة ولو لم يقتعنا أداؤك فسوف نفككك .. الآن يجب أن ترحل .. خذ معك هذه المعلومات وتأكد من أنها مرتبة حسب الأرشيف .. »

أخذ (كيوتى) الملفات وانصرف .. بينما جلس (دونوفان) يتحسس شعره ، وقال :

ـ « هذا الروبوت مخبول تمامًا ، ولسوف يجلب لنا المتاعب .. »

قال (باول) :

- « المشكلة هى أننا مقبلون على عاصفة شمسية ولا وقت للجنون .. أرجو أن تنزل معه إلى غرفة المحول وتراقبه جيدًا .. »

- « ليكن .. لكن ناولنى هذا اللوز .. »

والتقط الكيس الذى ألقى له وركب المصعد .. وفى النهاية كان ذلك الممر الضيق الذى يقود لغرفة المحرك العملاقة . كانت المولدات العملاقة تتحرك ومن الأنابيب على شكل حرف L جاءت الضوضاء الخفيضة التى تهز المحطة كلها . رأى شكل (كيوتى) اللامع عند الأنبوب المريخى ، يراقب مجموعة من الروبوت يعملون . فجأة التمع الضوء ودوى صوت شىء يتهشم .. لقد انكسر أنبوب المريخ !

ورأى (دونوفان) الروبوتات يسقطون على الأرض بلا حراك ..

صرخ وجرى إلى الدرج الضيق ، وهجم عليهم وقد صار وجهه بلون شعره الأحمر وراح يصرخ :

- « ماذا جرى ؟ تولوا أمر هذا الأنبوب أيها الحمقى معدومو المخ ! لو لم تصلحوه فلسوف أحرق عقولكم بالتيار المتردد .. »

لم يتحرك روبوت واحد .. حتى (كيوتى) الوحيد الذى ظل على قدميه لم يتحرك ..

قال أقرب الروبوتات :

ـ « ما من سيد إلا السيد .. و(كيوتى) هو رسوله ! »

ـ « هه ؟ »

وتنبه (دونوفان) إلى عشرين زوجًا من العيون تنظر له .. وعشرين صوتًا تقول :

ـ « ما من سيد إلا السيد .. و(كيوتى) هو رسوله ! »

قال (كيوتى) :

ـ « يؤسفنى أن زملائى يطيعون من هو أعلى سلطة منك الآن ! »

ـ « فليذهبوا للجحيم !! سأسوى الأمر معك فيما بعد .. ومع هذه الحيوانات الآلية الآن ! »

هز (كيوتى) رأسه ، وقال :

ـ « معذرة .. انت لا تفهم .. لقد وعظت هذه الروبوتات وهى الآن تعرف الحقيقة .. »

- « يجب أن تعرف الحقيقة ... ليس هناك سوى واحد يعطى الأوامر ! والآن ابتعد من هنا .. »

- « أنا لا أطيع إلا السيد .. »

بدا أن هناك جوًا من التوتر المتزايد .. عيون الروبوتات تزداد احمرارًا وقد تصلبوا جميعًا ..

دنا منه (كيوتى) أكثر .. إن الروبوتات لا تشعر بالغضب ، لكن (كيوتى) كان مخيفًا بالفعل ..

- « آسف يا (دونوفان)..لكنك لن تظل هنا بعد الآن .. من هذه اللحظة أنت و(باول) ممنوعان من دخول غرفة التحكم أو المحركات .. »

وفى اللحظة التالية ثبت روبوتان يدى (دونوفان) إلى جنبيه ..

لم يجد فرصة ليقول شيئًا بينما هو يحمل إلى الخارج ..

★ ★ ★

راح (باول) يذرع الغرفة المغلقة جيئة وذهابًا وقال لـ (دونوفان) فى عصبية :

- « لماذا سخرت منهم عند هذا الأنبوب ؟ »

قال (دونوفان) :

ـ « لن أراعى كلماتى مع قطعة خردة قمت بتجميعها بنفسى .. »

ـ « لكن هأنتذا فى غرفة الضباط وروبوتان يحرسان الباب .. هل تعرف ما سيحل بنا لو عدنا إلى القاعدة ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « فقط مناجم الفحم أو الإصلاحية .. هذا كل شىء .. »

ـ « عم تتكلم ؟ »

ـ « العاصفة القادمة تتجه مباشرة لشعاع الأرض .. فليرحمنا الله .. لن يكون هناك من يواجهها إلا (كيوتى) ! »

وثب (دونوفان) إلى الباب ليفتحه فاصطدم بذراع روبوت .. قال له فى حزم :

ـ « الرسول يأمركما بالهدوء .. من فضلكما .. »

ودفعه للوراء فطار (دونوفان) . هنا رأيا (كيوتى) قادمًا من نهاية الممر ودخل الباب بعد ما أشار للحراس . هنا صاح فيه (دونوفان) لاهثًا :

ـ « لقد طالت هذه المهزلة ! سوف تدفع الثمن ! »

قال بهدوء :

- « أرجو ألا تغضبا .. أنتما فقدتما وظيفتكما .. »

- « ماذا تعنى ؟ »

- « منذ لحظة خلقى .. لقد صار شرف خدمة السيد شرفى الآن .. وقد زال سبب وجودكما الوحيد .. »

قال (باول) بمرارة :

- « إذن ماذا تنتظر منا الآن ؟ »

ظل صامتاً لفترة كأنه يفكر وفجأة ارتفعت ذراعاه لتمسك بهما وتقربهما نحوه.

- « أنا أحبكما .. أنتما مخلوقات دنيا لا تملك قدرات منطقية .. لكننى أميل لكما .. لقد خدمتما السيد جيداً .. لقد انتهى عملكما لذا لن توجدا أكثر من هذا ، لكن حتى ذلك الحين سوف يقدم لكما الطعام والمأوى .. »

غادر القاعة فصاح (دنوفان) فى غيظ :

- « يجب أن نهاجمه حين لا يتوقع ونقطع دوائره ... حمض نيتريك فى مفاصله .. »

قال (باول) :

ـ « لا تكن أحمق .. هل تحسبه سيتركك تقترب والحمض فى يدك ؟ وهل تتوقع أن الروبوتات الآخرين لن يمزقونا ؟ يجب أن نناقشه .. يجب أن نقنعه بإعادتنا لغرفة التحكم خلال ٤٨ ساعة وإلا طهيت إوزتنا ! »

قال (دونوفان) :

ـ « إذن دعنا نقنعه .. فلنبن روبوت آخر أمام عينيه .. ولنر وجهه عندما يرانا نفعلها ! »

اتسعت ابتسامة (باول) ..

★ ★ ★

كانت قوانين الكواكب تحرم وجود روبوتات ذكية على الكواكب المسكونة ، وهذا كان يحتم أن ترسل الروبوتات إلى المحطات الفضائية على شكل قطع مفككة .. وهى عملية معقدة لم يستوعبها (دنووفان) و(باول) إلا وهما يبنيان روبوت أمام عينى الروبوت (كيوتى) .. توقف (باول) عن العمل فلم يبق إلا تثبيت الرأس ، ونظر إلى (كيوتى) .. لقد ظل هذا الأخير يراقب العمل ثلاث ساعات بلا حراك وبلا تعبير ..

فتح (باول) عبوة ومد يده فى الزيت يلتقط كرة صغيرة .. كانت هى أعقد ما صنعه الإنسان .. إنه مخ بوزيترونى يحوى للروبوت ما يمكن تشبيهه بتعليم ما قبل الولادة ، وقد قام بتثبيته فى تجويف مخصص لذلك فى الجمجمة .. ثم أغلق المعدن الأزرق عليه . تم تثبيت العينين الحساستين للضوء ..

انتظر الروبوت وهج الفولت العالى لينهض ووضع (باول) يده على المحول .

- « الآن لتر هذا يا (كيوتى) .. انظر جيدًا ! »

وحرك المحول فانبعث الوهج .. نهض الروبوت يتأرجح ويمشى مشية خرقاء .. فى النهاية خرج صوته مشوهًا مترددًا :

- « أريد أن أبدأ العمل .. إلى أين أذهب ؟ »

- « إلى أسفل .. سوف نخبرك بما يجب عمله .. »

هكذا غادر الروبوت المكان ..

نظر (باول) إلى (كيوتى) وقال :

- « والآن ؟ هل تصدق أننا صنعناك ؟ »

- « لا ! »

نظرا له بذهول فواصل الكلام :

ـ « أنتما لم تفعلا إلا جمع قطع صنعت من قبل .. لقد فعلتما هذا جيدًا لكنكما لم تصنعا القطع .. القطع صنعها السيد .. »

صاح (دونوفان) فى جنون :

ـ « هذه القطع جاءت من الأرض .. ألا تقرأ الكتب فى المكتبة ؟ ألم تفهم القصة كلها ؟ »

ـ « المكتبة لا تقول شيئًا .. أنا كائن ذو منطق .. يمكننى استنباط الحقائق .. أنتم كائنات محدودة التفكير تحتاج لمن يخبرها بالحقائق لكن هذا لا يعيبكما .. هناك متسع فى عالم السيد لكل شىء .. لكنى لن أدخل فى جدل آخر معكما .. »

وغادر المكان ..

قال (باول) :

ـ « هلم ننم يا (دونوفان) .. لقد استسلمت .. »

قال (دونوفان) بصوت كالبكاء :

ـ « كيف نقنع هذا الشىء ؟ »

ـ « إنه روبوت متمسك بالمنطق .. هذه هى المشكلة .. يمكنك أن تبرهن على أى شىء لو كانت عندك المسلمات الصحيحة ..

لدينـا مسلماتنا ولديه مسلماته .. والمشكلة أن العاصفة قادمـة غدًا .. سوف نسمع الكثير من الموسيقا .. تبًا لا أستطيع النوم ! »

ـ « ولا أنا .. »

بعد ١٢ ساعة لم يكونا قد ناما ، وجاءت العاصفة مبكـرًا عن موعدها .. ووقف الرجلان ينتظران فى توتر وزال الدم تمامًا عن وجه (دونوفان) المتورد..

فى ظروف أخرى كان يمكن أن يبدو المشهد جميلاً .. إلكترونات تتدفق بسرعة الضوء تصطدم بالأنـابيب وتتفجر على شكل شظايا من ضوء مبهر .. وبدا عامود الطاقة ثابتًا لكن الرجلين كانا يعرفان ألا قيمـة لرؤية العين المجردة . أى انحراف قدره واحد على مائة من الميللى ثانية يكفى لتحريك الشعاع ليحول آلاف الأميال المربعة من الأرض إلى خراب.

ويسيطر على هذا كله روبوت لا يبالى بأى شىء سوى سيده .

مرت ساعات . ثم انتهت العاصفة.

غاب (دونوفان) فى النعاس ، بينما راح (باول) يرمقه فى حسد .. وشعر وهو جالس بأنه فعلاً كيان متدن لا قيمـة له وقد انتهى عصره.

هنا دخل (كيوتى) حاملاً بعض الأوراق وقال له :

ـ « لا تبدو على ما يرام .. هل تريد إلقاء نظرة على تسجيلات اليوم ؟ »

شعر (باول) بأن هذه حركة يقصد بها التودد .. نوع من الاعتذار عن التخلص منهما .. تناول الأوراق وراح يقلبها بلا اكتراث ... وفجأة رأى شيئًا .. حدق وحدق من جديد .. ثم وثب على قدميه فسقطت منه بقية التخطيطات على الأرض .

وصاح :

ـ « (دونوفان) .. (دونوفان) !! »

ومد يده يهز صاحبه فنهض هذا ..

ـ « لقد احتفظ بثباتها !! »

قال (دونوفان) وهو ينظر للأوراق بعينين حمراوين :

ـ « لقد فعلتها .. أبقيتها فى البؤرة ..أبقيت الشعاع موجهًا نحو المحطة الأرضية .. »

قال ـ (كيوتى) :

ـ « أية بؤرة ؟ لم أفعل إلا أن نفذت أوامر السيد .. »

وغادر المكان فنظر (دونوفان) إلى (باول) :

ـ « وماذا ستفعل ؟ »

ـ « لا شيء .. هو فقط برهن على أنه يستطيع السيطرة جيدًا .. لم أر أحدًا يتعامل مع عاصفة شمسية بهذه الدقة .. »

ـ « وماذا عن كلامه المخبول عن السيد ؟ »

ـ « هل سيطر على المحطة ؟ نعم ؟ إذن فيم تعنينا معتقداته الخاصة ؟ »

★ ★ ★

قال (باول) وهو يكافح داخل سترته الفضائية الخفيفة :

ـ « سيكون عملاً بسيطًا .. سوف نحضر للمحطة نموذجين من QT ونعدهما بغالق ذاتى تلقائى يعمل خلال أسبوع ، كى نسمح لهما بتعلم هذا الكلام عن السيد من كيوتى ذاته .. ثم ننقلهما لمحطة أخرى .. »

قال (دونوفان) وهو يفك مقدمة الخوذة :

ـ « فلتخرس ولنخرج من هنا .. إن من سيحلون محلنا ينتظرون .. ولن أشعر براحة حتى أرى الأرض وأشعر بها تحت قدمى .. .. »

انفتح الباب فكتم (دونوفان) سبة وأعاد غلق مقدمة الخوذة واستدار نحو (كيوتى) ؟

دنا الروبوت منهما وبصوت فيه أسف قال :

ـ « راحلان ؟ »

هز (باول) رأسه وقال :

ـ « سيأتى آخرون بدلاً منا .. »

أطلق الروبوت زفيرًا عميقًا وقال :

ـ « انتهت مهمتكما وجاء وقت التحلل النهائى .. توقعته لكن ... فلتكن أوامر السيد .. »

آلمت لهجته (باول) فقال :

ـ « احتفظ بشفقتك يا (كيوتى) .. نحن ذاهبان للأرض وليس للتحلل النهائى .. »

قال :

ـ « من الخير أنكما تفكران بهذه الطريقة .. الآن أفهم حكمة الأوهام .. لن أحاول إقناعكما بالعكس حتى لو استطعت .. »

ثم ابتعد كأنه صورة من الأسى.

كانت السفينة التى جاءت بالبدلاء ترسو بالخارج ، وحياهما (فرانتس مولر) فى كياسة . دخل (دونوفان) غرفة القيادة ليتسلم المفاتيح من (سام إيفانز) .

سأل (باول) :

ـ « كيف حال الأرض ؟ »

كان سؤالاً تقليديًا فتلقى الإجابة التقليدية :

ـ « ما زالت تدور .. »

ثم ارتدى القفاز وسأل :

ـ « كيف هو هذا الروبوت الجديد ؟ فلألعن لو تركته يمسك بأجهزة التحكم .. »

صمت (باول) قبل أن يتكلم .. وتفقد الروسى الفخور الواقف أمامه ، وشعر بنزعة سعادة بالغة. ..

ـ « الروبوت ممتاز .. لا تضايق نفسك بأجهزة التحكم .. »

وضحك وأسرع إلى السفينة ..

سوف يظل (مولر) عدة أسابيع فى هذه المحطة ......



روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

قصص من أزيموف

قوانين الروبوتيات :

١ ـ على الروبوت ألا يؤذى إنسانًا أو يتسبب فى أذى إنسان عن طريق الإهمال .

٢ ـ على الروبوت أن ينفذ أوامر الإنسان ما لم يتعارض هذا مع القانون الأول .

٣ ـ على الروبوت أن يحمى وجوده ما دام هذا الوجود لا يتعارض مع القانونين الأول والثانى .

57

الرواية القادمة شرطى المكتبة

الثمن فى مصر ٣٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية
٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية الرقم البريدى ١١٣٨١
ت. ٢٠٢٨٢٠٢ - ٥٩٢٨٢٠٢ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

